الزواج

مسرحية

للكاتب الإيرلندى

چورج برنارد شو

ترجمة : عبد الحليم البشلاوى

مكتبة الفنون الدرامية

١٢

تصدرها
مكتبة مصر

يحررها
عبد الحليم البشلاوى

مكتبة الفنون الدرامية

(١٢)

مكتبة الفنون الدرامية (١٢)

الزّواج

مسرحية أفكار

A PLAY OF IDEAS

للكاتب الأيرلندى
چورچ برنارد شو

ترجمـة
عبد الحليم البشلاوى

تصدرها
مكتبة مصر

يحررها
عبد الحليم البشلاوى

GETTING MARRIED

by

GEORGE BERNARD SHAW

مكتبة الفنون الدرامية

القصد من هذه المكتبة أن تسد ما بالمكتبة العربية من فراغ كبير . فهى تستهدف ترجمة روائع المسرحيات العالمية ، وكل ما يتصل بالفنون الدرامية والاذاعية من تمثيل وكتابة واخراج . ولعل هذا هو أول مجهود منظم يبذل فى هذا السبيل .

صدر الكتاب الأول
فى اكتوبر ١٩٥٨

كتب تصـدر تبـاعا :

الحـارس

للكاتب الانجليزى : هارولد پنتر

ميراث الريح

للكاتبين الأمريكيين : چيروم لورنس و روبرت لى

الاتصال بالجماهير

للكاتب الأمريكى : اريك بارنو

صــدر من هذه المكتبة :

١ ـ **الأحرار**

للــكاتب الأمريكى : سدنى كنجزلى

٢ ـ **الرجل العجوز**

للــكاتب الروسى : ماكسيم جوركى

٣ ـ **بيت الدمية**

للكاتب النرويجى : هنريك ابسن

٤ ـ **الينبوع**

للــكاتب الأمريكى : يوچين أونيــل

٥ ـ **قطة على سطح من الصفيح الساخن**

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

٦ ـ **الشــائعة**

للكاتب الانجليزى : **تشارلز مونرو**

٧ ـ **عيوب التاليف المسرحى**

للناقد الأمريكى : وولتر كير

٨ ـ **ثلاث تمثيليات للتليفزيون**

للكاتب الأمريكى : پادى تشايفسكى

٩ ـ **مسرحية فى القصر**

للــكاتب المجرى : فيرينك مولنار

١٠ ـ **الأب ومس چوليا**

للكاتب السويدى : أوجست سترندبرج

١١ ـ **صيف ودخان**

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

١٢ ـ **الزواج**

للكاتب الأيرلندى : چورچ برنارد شو

هذه المسرحية

بقـلم : عبد الحليم البشلاوى

حقا ، ما اشد ما يحار المرء اذ يهم بالكتابة عن اثر من الآثار الأدبية التى خلفها چورچ برنارد شو !

كان عمـلاقا مخضرما ، وعبقريا تعـددت جوانب عبقريته وتنوعت . كان أديبـا ، ولغويا ، وكاتبـا مسرحيا . وكان ناقدا مسرحيا ، وناقدا أدبيـا ، وناقدا موسـيقيا ، كما كان صحفيا ، ومصـلحا اجتماعيـا . ثم كان اشـــتراكيا ، بل هو من رواد الاشتراكية ومن دعاتها العـاملين ، اذ هو من مؤسسى الجمعية الفـابية المشهورة فى لنـدن The Fabian Society . وكان ذا باع ونفوذ وسطوة ، جريئا مرهوب الجانب . لا يخشى شيئا ولا يخشى أحدا . وكان حاضر الذهن ، سريع البديهة ، متوقد الذكاء .

ولد فى دبلن عام ١٨٥٦ ومات فى لندن عام ١٩٥٠ . أى أن أجله امتد واستطال الى ما يقرب من قرن من الزمان . وهـذه الحقيقة فى حد ذاتها هى سبب الحيرة التى لا بد أن تنتاب كل من يحاول الكتابة عن هذا العبقرى الخالد أو عن مؤلفاته .

واذا كانت البينة على من ادعى ، فلنأخذ على سبيل المثـال هذه المسرحية التى نقدمها فى هذا الكتاب : مسرحية « الزواج » .

فهذه مسرحيـة كتبهـا صاحبهـا فى عام ١٩٠٨ ، أى منذ ما ينوف على نصـف قرن . فاذا شـئنا أن نزن هذه المسرحية

بميزان النقد ، وجب أن نحكم عليها فى ضوء الظروف والأحوال التى كانت سائدة فى ذلك الحين : منذ ما ينوف على نصف قرن . فهذه مسرحية أفكار . عارية عن القصة. عارية عن الشخصية . عاجزة عن أن تهز نفس المشاهد أو تثير فيه الحماس والانفعال ، لأنها تخاطب عقل المتفرج وذهنه وليس قلبه وعاطفته ، هى مسرحية تدور حول الزواج وتقاليده وقيوده ، وحول الطلاق وشروطه وحدوده . كل هذا كما كانت عليه الحال فى عام ١٩٠٨ . والحال اليوم من هذه الناحية غير ما كانت عليه عامئذ . فقد تغيرت قيود الزواج والطلاق وشروطهما فى بريطانيا أشد التغير . ولم تعد لمعظم هذه الآراء والأفكار من قيمة تذكر ، الا القيمة التاريخية . خرجت المرأة الى ميدان العمل فتحررت من اعتمادها الاقتصادى على الرجل . ولم تبق للزواج قدسيته التى كانت له فيما مضى . وغدا الطلاق أسهل بكثير مما كان عليه من قبل . وخضعت قوانين الزواج والطلاق لتطورات شتى .

ورب سائل يسأل : وما دام الأمر كذلك ، ففيم اذن كان اختيار هذه المسرحية ؟

والجواب هو أن اختيار هذه المسرحية بالذات من بين مسرحيات شو مرجعه الى أسباب شتى :

١ - مهما يكن من تحقق ما نادى به شو من تغيير قوانين الزواج والطلاق ، فان المبادىء التى كان يعتنقها شو ، تلك المبادىء التى دفعته الى هذه المناداة ، هى التى جعلته يعالج مسرحية المناقشة أو مسرحية الأفكار ويصر عليها فى معظم مسرحياته ، رغم علمه بأنها ليست النوع الذى يفضله رواد المسارح . ومن سوى شو يجرؤ على الاقدام على عمل كهذا ؟ نعم ، لا شك فى أن شو تلقى المشعل من يد ابسن ، ولكن اذا كان ابسن هو الشرارة ،

فلا شك ابدا فى ان شو هو النار ذاتها . ولقد سبق ان قلنا فى مقدمة الترجمة العربية لـ « بيت الدمية » (١) : (... ومن هذا نرى أن « المناقشة » عند ابسن اخذت مكان « الحل » عند من سبقوه من كتاب المسرح . ثم جاء من بعد ابسن كتاب جعلوا المناقشة تستغرق المسرحية بأكملها ، كما فعل برنارد شو فى مسرحيتى « الزواج » و « ورطة الطبيب » وغيرهما)

ويجدر بنا هنا أن نسجل رأيا للفيلسوف البريطانى المعروف « چود » الذى يرى أن شو لم يكن فى الحقيقة مهتما بالدرامة فى حد ذاتها بقدر ما كان مهتما باتخاذها وسيلة لنقل آرائه وفلسفته الى السواد الأعظم من الناس . يقول چود : (ان اهتمام شو منصب فوق كل شىء على الأخلاق والسياسة والفلسفة . فهو فى الواقع فيلسوف ، بنفس المعنى الذى كان به أفلاطون فيلسوفا . فيلسوف يتمتع ، كما كان أفلاطون يتمتع ، بموهبة درامية قوية . وهو يستخدم هذه الموهبة عامدا فى ابراز أفكاره عن الحياة الانسانية وكيف ينبغى أن نحياها ، وعن الجماعات البشرية وكيف ينبغى أن تحكم ، وتقريب هذه الأفكار الى الناس الذين لايقبلون على قراءة كتب الفلسفة ، ويعرض عليهم هذه الأفكار بطريقة ممتعة ومذهلة بحيث أن من يشاهد المسرحيات يظل يتذكر هذه الأفكار ، اما لأنها سرته واما لأنها صدمته) (٢)

ويقول شو عن نفسه : (ما أنا بكاتب مسرحى عادى . أنا متخصص فى المسرحيات المنافية للأخلاق والدين . وقد قامت شهرتى على صراعى الدائب لارغام الجمهور على اعادة النظر فى

---

(١) صدر بها الكتاب الثالث من « مكتبة الفنون الدرامية » .

(٢) كتاب *SHAW* لمؤلفه *C. E. M. JOAD* وناشره *VICTOR GOLLANCZ* بلندن .

مقاييسه الخلقية . أنا اكتب المسرحية مستهدفا عن عمد ان اجعل الأمة تتحول الى اعتناق آرائى فى الأمور الجنسية والاجتماعية . وما من حافز آخر يحفزنى الى كتابة المسرحيات ، فأنا لا اعتمد عليها لكسب قوتى)

ولعل هذا يفسر لنا المآخذ التى يأخذها النقاد على مسرحيات شو بوجه عام ، وأهمها : أولا : أن شخصياته لا تبدو طبيعية ، وانما هى تتكلم بلسان شو وتعبر عن آرائه . ثانيا : أن مسرحياته خالية من الفعل **Action** .

٢ — وهذه المآخذ تأتى بنا الى السبب الثانى الذى من أجله اخترنا هذه المسرحية لشو . فبالرغم من أن مسرحية « الزواج » مسرحية مناقشة ، وبالرغم من أن بعض شخصياتها لا تبدو حقيقية ، وبالرغم من خلوها من الفعل ، الا أنها مسرحية رائعة . رائعة من الناحية الدرامية ، لأن تنوع الشخصيات فيها وانفراد كل منها بمشكلة من نوع خاص ، وكون هذه المشاكل أجمع ترتبط بالمشكلة الرئيسية وتدور حول موضوع الزواج والطلاق ، وبراعة الحوار ، كل هذا يجعل منها مسرحية لا تقل فى روعتها ومتعتها عن المسرحية ذات الفعل . لقد اضطر شو بالطبع الى أن يستعيض عن « الفعل » ببعض حوادث أو « مواقف » تتخلل المسرحية . واذا بدت هذه الحوادث مفتعلة فى بعض الأحيان ، فان هذا هو أقل ما يمكن عمله فى مسرحية المناقشة . وهى مسرحية رائعة من الناحية الفكرية ، لأن المؤلف ألم بأطراف الموضوع الماما يشهد له بالفضل والعبقرية . وجهر بآرائه فى هذا الموضوع الحيوى الخطير دون حياء أو جبن ، بل بكل جرأة وشجاعة .

يقول الناقد الانجليزى سير دزموند مكارثى بعد أن يشيد بهذه المسرحية ويعرب عن اعجابه بها : (... الظن بمسرحيات

المناقشة هذه أنها لا شكل لها ولا « قالب » . والبراعة التى يبنى بها شو هذه المسرحيات قد خفيت عن الأنظار . ومبررات هذا النوع من الدرامة هى انه ييسر للكاتب أن يتناول قدرا من جوانب موضوع جسيم ، جسامة لا يستطيع معها الكاتب ان يعالجه فى مدى ثلاث ساعات اذا اعتمد على الفعل وحده . فلمسرحية المناقشة قالبها الخاص ، قالب مختلف . وشو أستاذ فيه) (١)

٣ — وتنفرد هذه المسرحية بميزة أخرى دون سائر مسرحيات شو . فمع أنها مسرحية طويلة يستغرق اداؤها ثلاث ساعات ، الا أنها تدور فى فصل واحد ومنظر واحد لا يتغير ولا ينزل الستار الا فى نهاية المسرحية . ومن الغريب أن يكون هذا المنظر هو مطبخ بيت الأسقف . يقول شو فى ملاحظة صدر بها هذه المسرحية : (ستلاحظ فى هذه المسرحية نقطة على شىء من الأهمية الفنية . فأنا لم ألجأ الى التقسيم المعتاد الى فصول ومشاهد ، ورجعت الى وحدتى الزمان والمكان كما تراهما فى الدرامة اليونانية القديمة . فالمأساة السابقة « ورطة الطبيب » (٢) ذات خمسة فصول . ومكانها يتغير خمس مرات . وزمانها يمتد الى فترة غير محددة تنوف على عام . ولا شك فى أن هذا يقتضى من انتباه المتفرجين ومن براعة الكاتب مجهودا أقل بكثير . ولكننى ارى من تجاربى أن القالب اليونانى لا مفر منه عندما تبلغ الدرامة نقطة معينة فى التطور الشعرى والذهنى . فلم يكن استخدامى لهذا القالب استعراضا متعمدا من جانبى للتفنن فى استخدام

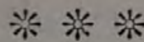
---

(١) كتاب *SHAW* لمؤلفه *SIR DESMOND MACCARTHY* وناشره *MACGIBBON & KEE* بلندن .

(٢) ورد نص هذه المسرحية قبل مسرحية « الزواج » فى المجلد الانجليزى الذى ترجمنا عنه .

القوالب . كل ما فى الأمر ان مسرحيــة أفكار انبعثت تلقائيا فى القالب الأنسب لها ، ذلك القالب الذى اتضح أنه القالب الكلاسى. ان مسرحية « الزواج » فى عدة فصول ومشاهد ، فى فترة زمانية طويلة ، أمر مستحيل) .

وهذا الشكل الدرامى لجأ اليه قبل شــو الكاتب السويدى أوجست سترندبرج فى مسرحيته « مس چوليــا » (١) . ولكن تلك لم تكن مسرحية أفكار بل كانت مأساة طبيعية ذات فعل ، بل فعل قوى عنيف . كما أن الكاتب السويدى اضطر الى حشو مأساته هذه بالرقص والغناء فى أكثر من موضع مما يوحى بأنه استخدم الرقص والغناء فى مكان نزول الستار . ومعنى هذا أنه لم تكن ثمة ضرورة ملحة تلزمه باستخدام هذا الشــكل الدرامى . كان سترندبرج يقوم بتجربة . أما مسرحية « الزواج » فالضرورة فيها ملحة ، وهذا الشكل اليونانى القديم هو الشكل الأنسب كما يقول شو بحق ، لأنها مسرحية أفكار ، مسرحية مناقشة ، الحوار فيها متصل ، والجدال مستمر ، وانقطاعهمــا كفيل بانقطاع الفــائدة المرجوة منهما .



لهذه الأسباب مجتمعة اخترنا مسرحية « الزواج » نموذجا نقدمه لمسرحية الأفكار أو مسرحية المناقشة .

الا أننا لا نستطيع أن نقف عند هذا الحد فى معرض الحديث عن أية مسرحية لبرنارد شو ، بل لا مفر من الحديث عن المقدمة ذلك أن شو يمهد لكل مسرحية بمقدمة منفصــلة مطولة يسهب

---

(١) نحيل القارىء الى مقدمة الترجمة العربية لهذه المسرحية ، التى صدر بها الكتاب العاشر من « مكتبة الفنون الدرامية » .

فيها فى الحديث عما تضمنته المسرحية من أفكار وآراء . وهذه المقدمات تكاد تكون مقالات وأبحاثا قائمة بذاتها . وهى دروس رائعة فى المذهب الاشتراكى . اذ أن كل مقدمة تتناول ناحية بذاتها من نواحى مجتمعنا البشرى ، كالبغاء ، أو الطب والعلاج ، أو الزواج والطلاق . فاذا أنت قرأت هذه المقدمات جميعا ، وما أكثرها وما أشد تنوعها ، فلا مفر من واحدة من اثنتين . اما أن تعتنق المذهب الاشتراكى ، واما أن تستثير فيك هذه المقدمات روح النقد فتجسم لك الآفات التى ينوء بها مجتمعنا ، وتكشف لك عن السوس الذى ينخر فى جذور البشرية . هذه — على الأقل — هى التجربة الشخصية التى خرجت بها أنا من الانكباب على قراءة شو . على هذا الأساس ينبغى أن يكون فهمنا لهذا العبقرى الذى أنجبته دبلن وآوته لندن . فهو كاتب دسم ، هو عملاق ، هو أسطورة من أساطير الحقيقة لا من أساطير الخيال . أراد أن يقلب كيان هذا المجتمع رأسا على عقب . واذا لم يكن قد وفق الى شيء من هذا ، فما من أحد يمارى فى أن آراءه وأفكاره وجراءته قد وجدت طريقها الى عقول الناس فى المشارق والمغارب ، وأسهمت بنصيب فيما نراه فى العالم اليوم من نقد للنظم البالية العتيقة وأخذ بالنظم التقدمية المستقبلية التى تستهدف رخاء عامة الناس قبل خاصتهم . يقول البروفسور فرانك هوايتنج مدير مسرح جامعة منيسوتا بالولايات المتحدة : (يتفق معظم النقاد على أن چورچ برنارد شو ليس أعظم كاتب مسرحى فى العصر الحديث فحسب ، بل هو أعظم كتاب العصر الحديث على الاطلاق . وهو فى المسرح الانجليزى لا يسبقه الا شيكسبير) (١) .

---

(١) كتاب *AN INTRODUCTION TO THE THEATRE* لمؤلفه *FRANK WHITING* وناشره *HARPER* بنيويورك .

نعود الى الحديث عن المقدمة التى كتبها شو لمسرحية الزواج فنقول ان هذه المقدمة تربو على المسرحية ذاتها طولا وعمقاً . واذا كان قد تعذر علينا ترجمة هذه المقدمة بحذافيرها ، فليس أقل من أن نورد هنا ملخصاً لها فنقول انها تنحصر فى النقاط التالية :

١ ــ اذا سلمنا بأن الزواج أمر حتمى لابد منه ، وان قوانين الزواج والتقيد بها هى الأخرى أمر حتمى لابد منه ، كان لزاماً علينا أن نعمل على جعل الزواج أمراً معقولا ومستساغاً . فاذا فشل الزواج بعد ذلك ، لم يكن ثمة مفر من حله ، وذلك بتسهيل الطلاق . لأن تغيير الزوج زوجته أو العكس ، أمر مرغوب فيه .

٢ ــ قوانين الزواج (فى عام ١٩٠٨) فى أشد الحاجة الى الاصلاح . واذا أردنا أن نصلح هذه القوانين ، وجب أولا وقبل كل شىء أن نحصى عدد السكان الحاليين حتى نستبين نسبة الاناث الى الذكور ، وعلى أساس هذه النسبة نستطيع أن نصل الى قرار بصدد عدد السكان الذين نريدهم فى بلدنا فى الحال أو الاستقبال .

٣ ــ أن عدد الزوجات اللاتى يسمح بهن لزوج واحد ، مسألة لا تخضع للأخلاق أو التقاليد ، وانما تتوقف على شىء واحد هو النسبة بين الجنسين فى نطاق السكان . فاذا نشبت حرب عظمى مثلا ، وأسفرت عن هلاك ثلاثة أرباع الرجال ، كان من الضرورى لحكومة بريطانيا أن تقتدى بالشريعة الاسلامية فترخص للرجل بأن يتزوج أربع زوجات .

٤ ــ ان عدم السماح للمرأة بأن تخاطر بحياتها فى المعارك والحروب ، أمر مرجعه الى الضرورة وليس الى الشهامة الأخلاقية. ذلك أنه اذا هلك عدد كبير من النساء ، لم تكن ثمة مندوحة عن تدهور عدد السكان ، وبالتالى اصابة البلد بالخراب السياسى ، لأن المرأة ذات الأزواج المتعددين تنجب من الأطفال عددا أقل

نسبيا مما تنجبه المرأة ذات الزوج الواحد. بينما يستطيع الرجل أن ينشىء من العائلات بقدر ما له من الزوجات .

٥ ـ ثمة نساء فضليات غير متزوجات ، على جانب كبير من الكفاءة والمهارة وقوة الشخصية ، يؤدين اعمالا تتصل بتربية الأولاد وتنشئتهن ، ولا يرغبن فى الزواج والتقيد بقيوده ، ولكنهن يرغبن مع ذلك فى الأمومة وانجاب الأطفال (١) ، فلماذا نفرض على امرأة كهذه أن تتخذ لها زوجا كثمن لاشباع غريزة الأمومة اذا لم تكن تريد الزواج ؟ ويجيب شو عن هذا السؤال بقوله : (هذا سؤال أعجز عن الاجابة عنه) .

٦ ـ لن يقوم الزواج على أساس سليم نظيف الا اذا تحررت المرأة من عبوديتها الاقتصادية للرجل وكفت عن العيش عالة عليه ، والا اذا نظرنا الى الأمومة والزوجية نظرتنا الى اى وظيفة أخرى تقوم بها المرأة وتتقاضى عنها أجرا ، فلا نعتبر المرأة مجرد أداة للانسال وتربية الأطفال .

٧ ـ ان اسوأ الزيجات ما كانت قائمة على الجنس وحده . أما أفضلها وأكثرها توفيقا فهى ما كان للجنس فيها أقل اعتبار ، وما كانت فيها العوامل الحاسمة لا علاقة لها بالجنس : كالمال ، وتوافق الأذواق ، وتشابه العادات ، والتكافؤ الاجتماعى .

* * *

هذه هى النقاط الأساسية التى يعرض لها شو فى المقدمة وفى المسرحية على السواء . وانا على ثقة من أن بعض هذه النقاط ـ ان لم تكن كلها ـ سيكون مثار نفور أو استياء أو استنكار من بعض القراء . ولعل أشد ما يستثير الاستنكار فى نفس القارىء العربى نقطتان : الأولى هى تساؤل شو : لماذا

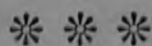
---

(١) رمز شو الى هذا النوع من النساء بشخصية « لزبيا » فى المسرحية .

نفرض على امرأة لا تريد الزواج أن تتخذ لها زوجا كثمن لاشباع غريزة الأمومة ؟ وقد رد شــو على نفسه بقوله : (هذا ســؤال أعجز عن الاجابة عنه) . ولكنه قال ذلك قبل الاهتداء الى وسيلة التلقيح الصناعى . والثــانية هى قول شو[أن أفضــل الزيجات وأكثرها توفيقا ما كان للجنس فيها أقل اعتبار . ولعل شو هنا يناقض نفسه ، لأن الجنس هو أهم العــوامل التى تتــدخل فى تخطيط السكان الذى ينــادى به] كما أنه لا يسوق دليلا على رأيه هذا الذى نخالفه فيه كل المخــالفة . وخير ما نرد به على شو هنا هو أن نستشهد بقول أديب بريطانى آخر هو د . هـ . لورنس : (لا تكون الحياة محتملة الا عندما يكون العقل والجسد فى انسجام ، وعندما يكون بينهما توازن طبيعى ، وعنــدما يكن كل منهما احتراما طبيعيا للآخر)

سيفهم القارىء من هذا الذى قلناه عن « شو » أنه كاتب جاد ، يتناول الموضوعات الجادة والخطيرة . والحق أنه كذلك ، ولكن الحق أيضاً أنه فى تناوله هذه الموضوعات ، وأنه فى كتاباته كلها ــ سواء أكانت درامية أم غيرها ــ يضفى على هذهالموضوعات جواً من المرح والفكاهة . وتمتاز مسرحياته ــ ما عد القليل منها مثل « سنت چون » ــ بالنكتة البارعة والمواقف المضحك حتى ليظنه بعض الناس ــ مخطئين ــ مجرد كاتب فكاهى لا يسعى الا وراء النكتة لاضــحاك الجماهير . وتلك احدى الخصائص التى امتاز بها شو .

وبين يدينا مقال صادق على هذا « الازدواج » أو «التعمية» عند شو فى مسرحية « الزواج » .



بقيت كلمة أخيرة تتصل بعنوان المسرحية . فان العنوان الانجليزى هو Getting Married وترجمته الصحيحة هى « الاستعداد للزواج » . ولكننا آثرنا أن نقتصر على « الزواج » فحسب ، توخيا للسهولة ، مع علمنا بأن للكاتب الروسى « جوجول » مسرحية بهذا العنوان .

***

وبعد ..

فهذه مسرحية « الزواج » ، يسر « مكتبة الفنون الدرامية » أن تقدمها لقراء العربية عامة ، نموذجا رائعا لمسرحية الأفكار . نموذجا جديرا بالتحليل والدراسة .

يولية ١٩٦١ **عبد الحليم البشلاوى**

« أنا أعتقد أن الامبراطورية البريطانية بأسرها ستعتنق نوعا معدلا من الاسلام قبل انتهاء القرن . ان شخصية محمد حبيبـــة الى نفسى . فأنا معجب به ، وأشاطره آراءه فى الحياة الى حد كبير »

برنارد شو

على لسان هوتشكس

« الزواج فى حد ذاته أمر محتمل اذا أنت أخذت الأمور ببساطة ولم تتوقع من ورائه شيئا كثيرا . ولكنه أمر لا يصمد أمام التفكير . ولذا كان من المهم حمل الشباب على الارتباط برباط الزواج قبل أن يعرفوا حقيقة ما هم مقدمون عليه » .

برنارد شو

على لسان كولنز

الـزوَاج

الشخصيات

مسز بردچنورث	*Mrs Bridgenorth*
كولنز	*Collins*
الچنرال	*The General*
لزبيـا	*Lesbia*
رچنـالد	*Reginald*
ليـو	*Leo*
الأسـقف	*The Bishop*
هوتشكس	*Hotchkiss*
سـايكس	*Sykes*
ايدث	*Edith*
سـومز	*Soames*
حامل الصولجان	*The Beadle*
مسز چورچ	*Mrs George*

المنظر

(صبح يوم جميل من أيام الربيع فى عام ١٩٠٨ . مطبخ على الطراز النورماندى فى قصر أسقف ((تشاسى)) . مطبخ شاسع ، نظيف ، أنيق ، صحى .

الأسقف رجل سعيد الحظ لحصوله على قصر بنى فى القرن الثانى عشر . والقصر نفسه سعيد الحظ لأنه لم يحول الى طراز القرن الخامس عشر القوطى ، أو طراز القرن الثامن عشر المنحوت من الأحجار ، أو تتناوله بالتعديل يد بناء ومهندس من أبناء القرن التاسع عشر لهما شغف شديد بالعقود والأقواس التى تبدو فى طراز ذلك القرن ، وهو طراز أشبه بالمظلة . الرجل الذى يعيش الآن فى القصر ، واسمه غير الرسمى ألفريد بردچنورث ، يقدر الفن النورماندى . وقد استطاع ، بعد أن قدم شكاوى بارعة عن المكان وعدم توافر أسباب الراحة فيه ، أن يقنع أعضاء المجلس الكنسى بمنحه بعض المال لانفاقه

على القصر . وبهذا المال استطاع الأسقف أن يتخلص من الورق الذى كان يكسو الجدران ، ومن الطلاء ، ومن الحواجز التى كانت تقسم الغرف ، ومن سائر الوسائل الأخرى التى لجأ اليها أسلافه النورمانديون لكى يشعروا بأنهم فى وطنهم وبأنهم يظفرون بالاحترام فى قلعة نورماندية . انه بيت بنى ليبقى الى الأبد . فالجدران وعروق الخشب من الكبر بحيث تحمل برج بابل ، كما لو كان من بنوه قد تنبأوا بأفكارنا الحديثة فراحوا يتحدونها بالغريزة مصممين على أن يظهروا مدى ما يستطيعون اسباغه من مواد على بيت بنى لتمجيد الله ، بدلا من مراعاة المزايا التى يتضمنها الأخذ بالعطاء الأرخص ، وبدلا من أن يحسبوا بطريقة علمية أقل المواد التى يمكن استخدامها للحيلولة دون أن يهوى البناء كله لثقله .

المطبخ هو الغرفة المفضلة لدى الأسقف . وما ذلك عن تواضع من الأسقف ، وانما لأن المطبخ هو من أروع غرف البيت . وليس للأسقف الدخل أو الشهية اللذان يجعلانه يأمر بطهو طعامه فى المطبخ . النوافذ العالية فى الجدران تطل على الشمال والجنوب. النافذة

الشمالية هى الكبرى . واذا نظرنا الى المطبخ من خلالها رأينا تجاهنا الجدار الجنوبى بما فيه من نوافذ على الطراز النورماندى ، وبابا مفتوحا بالقرب من الركن الى اليسار . ومن خلال هذا الباب نلمح الحديقة ، ونلمح كرسيا من كراسى الحدائق فى ضوء الشمس . فى الركن الأيمن مدخل يؤدى الى غرفة دائرية ذات عقد وبها سلم حلزونى يؤدى من خلال برج الى الطوابق العليا من القصر . فى الجدار الى يميننا مدفأة ضخمة تبدو أسياخ الحديد التى تحمل الفحم فيها كأنها مهد طفل ، ومجموعة من الآلات النحاسية والحديدية القديمة يحسبها الناظر أدوات خاصة بالمدفأة ؛ والحقيقة هى أن الأسقف جمعها بين وقت وآخر من المحلات التى تبيع الأشياء القديمة . فى الطرف القريب للجدار الأيسر باب نورماندى صغير يؤدى الى مكتب الأسقف الذى كان من قبل غرفة ((كرار)) . وعلى بعد قليل يبدو ((بوريه)) (١) كبير من البلوط يستند الى الحائط . عبر وسط المطبخ مائدة خشبية كبيرة يحيط بها أحد عشر كرسيا ، أربعة منها الى الجانب

(١) CHEST وهى خزانة ثياب ذات أدراج لحفظ ملابس السيدات الداخلية وتكون ذا علو منخفض .

البعيد ، وثلاثة الى الجانب القريب ، واثنان فى كل طرف. بجانب المدفأة كرسى كبير ظهره وجانباه ذات قضبان خشبية . على الأرض بساط من اللباد السميك . لا يوجد من الأثاث غير ذلك سوى ساعة حائط لها ميناء من الخشب فى حجم قعر طشت غسيل . الأثقال والسلاسل والبندول تتناسب مع الميناء فى الحجم . الا أن الأسقف عدل عن محاولة تسيير الساعة منذ وقت طويل . الساعة معلقة فوق البوريه .

فى المطبخ الآن زوجة الأسقف ، مسز بردچنورت تتحدث الى مستر وليام كولنز الخضرى (١) . هو فى ملابس السهرة مع أننا قبيل الظهر .

مسز بردچنورت سيدة هادئة ، تبدو سعيدة ، فى الخمسين أو نحوها ، وديعة ، رقيقة ، مرحة ، ذات قسمات مرهفة ، وشعر أشيب جميل . توحى ملابسها بأنها ذاهبة الى حفل ، ولكنها تأخذ الأمور ببساطة وهى جالسة فى الكرسى الكبير بجانب المدفأة تقرأ صحيفة التايمز .

كولنز رجل مسن ذو خصر يوحى بالشباب.

---

(١) هو الذى يبيع الخضر والفاكهة .

وهو ودود ، ذو خصـال كاملة لا يكتسبها الا رجـل يدير حانوتا لبيـع ضروريات الحيـاة لسـيدات مراكزهن فى المجتمع راسخة بحيث لا يقلقهن أمرها . هو رجـل يبعث على الاطمئنـان ، ذو عينين يقظتين رماديتين ، يسـتطيع أن يقول لك أى شىء يريد دون أن يهينك ، لأن لهجته تنطوى دائما على الايحـاء بأنه انما يفعل ذلك بعد اسـتئذانك . ولكنه ليس دنيئـا ، بل هو بالعكس شـهم رحيم ، ولـكنه لا يتحول أبدا عن الاقرار بالفـوارق الاجتماعية . هو عند ألبوريه يحصى كوما من فوط السفرة .

(مسز بردچنورث تقرأ فى وداعة ورقة . كولنز يحصى . عصـفور يغنى فى الحديقة . مسز بردچنورث تضـع الصحيفة فى حجرها وتنظر الى كولنز لحظة)

مسز بردچنورث : الا تشعر أبدا بأنك عصبى فى هذه المناسبات يا كولنز ؟

كولنز : بارك الله فيـك يا سـيدتى . لا . ان ذلك لو حدث لكان أضحوكة بعد أن زوجت خمسا من بناتك . كيف أكون عصـبيا عند تزويج الأخيرة منهن ؟

مسز بردچنورث : أنا دائما اقول انك رجل مدهش يا كولنز .

كولنز : (**تكاد تحمر وجنتاه**) اوه . . . سيدتى .

مسز بردچنورث : نعم . انا لا أستطيع ابدا أن أرتب اى شىء ، لا حفلة زفاف ولا حتى حفلة عشاء ، دون أن يكون فيها نقص ما .

كولنز : ولماذا تتعبين نفسك يا سيدتى ؟ اطلبى الخضرى . هذا هو سر تدبير المنزل بأسهل طريقة . بارك الله فيك يا سيدتى ، هذا هو عمله . فهو يستفيد وكذلك أنت ، فضلا عن السرور الذى يجده فى بيت كهذا **(تنحنى له مسز بردچنورث اعترافا بهذه المجاملة)** الناس يسخرون من الخضرى ، كما يسخرون من الحماة . ولكنهم لا يستطيعون أن يعيشوا بدونهما .

مسز بردچنورث : يا لها من رابطة تربط بيننا يا كولنز !

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى . توجد جميع أنواع الروابط التى تربط بين جميع انواع الناس . أنت سيدة لطيفة المعشر جدا يا سيدتى ، خصوصا وانت زوجة أسقف . لقد عرفت زوجات أساقفة يستفززن الانسان حتى ليهم بصفعهن . ولكن ما من أحد ينسى نفسه ومركزه أبدا فى حضرتك يا سيدتى .

مسز بردچنورث : أنت مجامل يا كولنز . ستشرف بنفسك على مائدة الفطور كالعادة بطبيعة الحال ، أليس كذلك ؟

كولنز : نعم ، نعم ، بارك الله فيك يا سيدتى ، بطبيعة الحال . هذا ما افعله دائما . ان هؤلاء المتعهدين المحدثين يبعثون باشخاص لم ار لهم مثيلا من قبل . اذا رايتهم ظننتهم دوقات . ويصافحهم الأقرباء ويسالونهم عن العائلة . ولكن السيدات يتساءلن فى الحقيقة « أين التقينا من قبل ؟ » ، الى غير ذلك من أنواع الارتباك والبلبلة . هذا هو سر المهنة يا سيدتى . أنت تستطيعين دائما أن تميزينى كبائع الخضر . وذلك بالنسبة لى ثروة فى هذه الأيام التى يصعب فيها التمييز بين الأشخاص (**يخرج من البرج ويعود فى الحال للحظة ليعلن :**) الچنرال يا سيدتى .

(تنهض مسز بردچنورث لتستقبل أخ زوجها الذى يدخل متألقا فى زيه العسكرى الكامل وقد تحلى بكثير من الأوسمة والمداليات . چنرال بردچنورث رجل ضخم البدن فى الخمسين من عمره ، ذو خياشيم كبيرة شجاعة ، وفم حديدى ، وعينين مخلصتين كعينى الكلب ، وقدر كبير من بساطة الخلق والمهابة الطبيعيتين . وهو جاهل ، غبى ، يتحامل على الناس ، فقد تم تدريبه بعناية ليكون كذلك . وليس من الميسور فى كل الأحوال احتماله والصبر عليه عندما تصبح نواياه التى لا شك فى طيبتها

مصدر شر جدى . ولكن الأجدر باللوم على ذلك هو المجتمع وليس الجنرال نفسه . فلو كان الچنرال قد أتيحت له الفرص الاجتماعية التى أتيحت لكولنز لما كان أسوأ منه رجلا . يتجه الى المدفأة حيث تقف مسز بردچنورث وظهرها الى المدفأة)

مسز بردچنورث : صباح الخير يا بوكسر (**يتصافحان**) جئت تسلم ابنة أخرى من بنات أخيك . هذه هى الأخيرة .

الچنرال : (**فى تقطيب شديد**) نعم يا آليس . لا عمل للعم المحارب العجوز الا أن يسلم العرائس لرجال أسعد منه حظا . هل .. (**يغص**) .. هل جاءت أختك ؟

مسز بردچنورث : لماذا تسمى لزبيا دائما أختى ؟ ألا تعلم أن هذا يغيظها أكثر مما تغيظها سائر حيلك ؟

الچنرال : حيلى ؟ ها ! سأحاول اذن أن أبتعد عن هذه الحيل . ولكننى أعتقد أنها لابد أن تتحملنى فى أمر بسيط كهذا ، فهى تعرف أن اسمها يقف فى حلقى. أفضل أن أسميها أختك على أن أحاول أن أسميها لـ . . . (**يكاد يبكى**) على أن أحاول أن أسميها باسمها فأنفجر بالبكاء وأجعل من نفسى أضحوكة (**يجلس عند الطرف القريب من المائدة**)

مسز بردچنورث : (**تذهب اليه لتهدئه**) أوه بوكسر . لم نعد فى سن الصبا . وأنت لا تستطيع أن تحمل

بين جنبيك قلبا كسيرا طول حياتك . لقد انقضى الآن ما يقرب من عشرين عاما منذ ان رفضت الزواج منك . وانت تعلم ان ذلك لم يكن لأنها تكرهك ، وانما لأنها لا تريد الزواج.

الچنرال : لا فائدة . ما زلت احبها . ولا أستطيع ان امنع نفسى من أن أقول لها ذلك كلما التقينا، ولو أننى أعلم أن ذلك يجعلها تتجنبنى . **(يكاد يبكى)**

مسز بردچنورث : وماذا تقول هى عندما تخبرها بذلك ؟

الچنرال : تقول انها تتساءل متى أتغلب على هذاالحب، وأنا أدرك الآن أننى لن أتغلب عليه .

مسز بردچنورث : لعلك تتغلب عليه ان تزوجتها . ولكننىأعتقد أنك أحسن حالا كما أنت الآن يا بوكسر .

الچنرال : أنا رجل تعس . أنا فى الحقيقة آسف يا آليس لأن أكون رجلا سخيفا ثقيل الظل . ولكن عندما آتى الى هذا البيت لحضور حفلزواج، عندما آتى الى هذه المناظر ، الى...الى... ذكريات الماضى ، دائما أسلم العروس الى شخص آخر ، ولا تسلم لى عروسى ابدا .. **(ينهض فجأة)** هل أستأذن فى الذهاب الى الحديقة لكى أدخن سيجارة تنسينى كل هذا؟

مسز بردچنورث : اذهب يا بوكسر .

(يعود كولنز ومعه كعكة الزواج)

مسز بردچنورث : آه ... **هذه هىالكعكة . اعتقد انها هىنفس الكعكة التى كانت فى زفاف فلورنس .**

الچنرال : لا اطيق هذا **(يسرع خارجا من باب الحديقة)**

كولنز : **(يضع الكعـــكة على المائدة)** انظرى اليهـا يا سيدتى . أليس غريبا بعد ان حضر الچنرال كل حفـلات الزفاف هـذه ، الا يطيق رؤية كعكة الزواج حتى الآن ؟ يبدو أنها تصـيبه دائما بنفس الصدمة .

مسز بردچنورث : هذه آخر صـدمة له يا كولنز . لقد زوجت الأسرة كلها الآن يا كولنز .

(تتنـاول صحيفة التايمز ثانيـة وتعاود القراءة)

كولنز : ما عدا أختك يا سيدتى . سيدة لطيفة جدا مس جرانشـام . انا أتوق الى اعـداد كعكة زواجها .

مسز بردچنورث : لن تتزوج يا كولنز .

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى ، كلهن يقلن هذا . أنت وأنا قلنا هذا . أنا قلت ذلك على أية حال .

مسز بردچنورث : لا . . . زواجى تم بطريقة طبيعية . وكنت اظن أن هذا هو ما حدث لك .

كولنز : **(بتفكير)** لا ياسيدتى . لم يتم زواجى بطريقة طبيعية . كان طبيعيا بالنسبة لها ، فهى من ذلك النوع الذى قد تسمينه دجاجة عجوزا مواظبة . دائما تريد أن يكون أعضاء أسرتها على مرأى منها . لا تنـام الا اذا تأكدت أنهم جميعا فى أمان وأن الباب مغلق والنور مطفأ . دائما تريد متاعها معهـا فى العربة . دائمـا

تسافر وتحصل من سائق القطار على وعد بأن يكون حذرا . لقد ولدت لتكون زوجة واما يا سيدتى . وهذا هو الذى جعل جميع اولادى يهربون من البيت .

مسز بودچنورث : هل شعرت ابدا بالميل الى الهرب يا كولنز ؟

كولنز : اوه نعم ياسيدتى . كثيرا . ولكن عندالتنفيذ لم اكن اجرؤ على ايلامها . انها روح حساسة ، محبة ، قلقة . وقد نشأت بحيث لا تعرف معنى الحرية لدى بعض الناس . كل ماتعرفه عن الحياة هو حياة الأسرة . هى اشبه ما تكون بعصفور ولد فى قفص ، يموت ان انت اطلقت سراحه فى الغابة . كنت كلما تصورت كم يكون من السهل على رجل ذى مزاج معتدل مثلى ان يطيقها ويتحملها ، وكم سيكون المها عميقا لظنها اننى لااحبها ، ارجىء الهرب دائما الى المرة القادمة . وهكذا فى النهاية لم اهرب ابدا . واننى لأجرؤ على القول ان من الخير لى أن القى مثل هذه العناية ، الا أن ذلك عزلنى عن جميع أصدقائى القدماء . أمر فظيع يا سيدتى . خصوصا النساء منهن يا سيدتى ، فهى لم تترك لهن فرصة . ابدا . لم تدرك أبدا أنه ينبغى على المتزوجين أن يأخذكل زوج اجازة من زوجته حتى تتجدد العلاقة بينهما . لا اعنى اننى سئمتها يا سيدتى ، ولكننى كثيرا ما سئمت

حياة البيت . وغالبا ما كنت أحسد شقيقى چورچ .

مسز بردچنورث : هل كان چورچ أعزب عندئذ ؟

كولنز : بارك الله فيك ياسيدتى ، لا . لقد تزوج امراة ذات قوام بارع . ولكنها كانت من ذلك النوع المتقلب السريع التأثر . لم يكن لها على نفسها أى سلطان اذا أحبت . فهى عندئذ تظل مكتئبة يومين تبكى للاشىء . ثم تنهض وتقول « لابد أن أذهب اليه ياچورچ » ، دون أن تبالى اذا كان ذلك على مسمع من أحد . ثم تغادر بيتها وزوجها دون استئذان .

مسز بردچنورث : هل تريد أن تقول انها فعلت ذلك أكثر من مرة؟ وعادت فى كل مرة ؟

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى . لقد فعلت ذلك خمس مرات فيما أعلم . ثم عدل چورچ عن اخبارنا بذلك بعد أن أصبح أمرا عاديا بالنسبة اليه .

مسز بردچنورث : ولكن هل كان يقبلها دائما عند ما تعود اليه ؟

كولنز : وما عساه يفعل يا سيدتى ؟ فى كل ثلاث مرات من أربع يعيدها الرجال فى نفس الليلة دون أن يحدث أى ضرر . وأحيانا أخرى يفرون منها . فما عسى يفعل أى رجل له قلب الا أن يطمئنها عندما تعود وهى تبكى حسرة على الطريقة التى تملصوا بها منها عند ما القت بنفسها عليهم متظاهرين بأنهم انبل من أن

يقبلوا التضحية التى تقدمها . وقد افهمها
چورچ مرارا أنها اذا بقيت فى البيت وتمالكت
نفسها قليلا ، ارتموا على قدميها طول اليوم.
وأخيرا عادت الى صوابها وعملت بنصيحته .
چورچ يحب أن يغير رفاقه دائما .

مسز بردچنورث : يا لها من امرأة بشعة يا كولنز ! الا تظن ذلك؟

كولنز : (**كمن يصدر حكما**) هذا ما يظنه وما يقوله
كثير من السيدات اللواتى يفضلن البقاء فى
بيوتهن . ولكننى أقول عن مسز چورچ ان
تنوع التجارب التى تمر بها جعلت منها
شخصية طريفة جدا . وهذا هو ما يجعل
المرأة المتقلبة تتفوق على المرأة المستقيمة
ياسيدتى . أنظرى الى زوجتى ! انها لم تعرف
أى رجل غيرى . وهى لا تستطيع أن تعرفنى
على حقيقتى لأنها لا تعرف رجلا غيرى لتقارن
بينى وبينه . هى بالطبع تعرف والديها كما
. . . كما يعرف أى شخص والديه . فهى
لا تعرف شيئا عن نصف حياتهما ولا يخطر
ببالها أنهما كانا صغيرين . وهى تعرف أولادها
كأولاد ، ولم يخطر ببالها أبدا أنهم بشر
مستقلون أحرار الا بعد أن هربوا من البيت
وظلت تبكيهم أسبوعا أو اثنين . أما مسز
چورچ فقد أصبحت الآن تعرف كثيرا عن
الرجال من جميع الأنواع والأعمار . فهى كلما
تقدمت فى السن ازداد ميلها الى الرجال

الصغار السن . وقد جعلها ذلك شخصية طريفة بكل تأكيد ، واكسبها كثيراً من رجاحة العقل . ولطالما عملت بنصيحتها فى بعض الأمور التى لا تفيدنى فيها زوجتى .

مسز بردچنورث : لعلك لا تقول لزوجتك أنك تستقى نصائحك من مصدر آخر .

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى . أنا أحب زوجتى ماتيلدا أشد الحب ، الى حد أننى لا أقول لها شيئاً على الاطلاق خشية أن أسيىء اليها . انها مستغرقة تماماً فى الأمومة والزوجية بحيث لا تعتبر انسانا ذا مسئولية أبداً خارج بيتها الا عندما تخرج الى السوق .

مسز بردچنورث : هل هى توافق على ما تفعله مسز چورچ ؟

كولنز : أوه ، مسز چورچ تستطيع أن تطويها . مسز چورچ تستطيع أن تطوى أى شخص ان هى شاءت . ثم ان مسز چورچ متدينة . كما أنها مطلعة على الغيب .

مسز بردچنورث : (**مندهشة**) مطلعة على الغيب !

كولنز : (**هادئاً**) نعم يا سيدتى ، نعم . يكفى أن تنوّميها قليلا فاذا بها تروح فى غيبوبة وتتفوه بأغرب الأشياء . لا عن نفسها ، ولكن كما لو كان الجنس البشرى بأسره يحدثك عن نفسه . أمر عجيب يا سيدتى أؤكد لك ، أمر عجيب . ما من شىء لا تعرفه مسز چورچ .

(تدخل لزبيا جرانثام من باب البرج .

هى فارعة الطول ، أنيقة ، نحيلة ، فى ريعان شبابها ، أى بين ٣٦ و ٥٥ . يبدو عليها حسن النشأة . وهى ترتدى ملابسها بعناية شديدة بحيث تترك هذا الأثر دون أن تهتم أقل اهتمام بآخر الموضة. واثقة من نفسها. تزعج الشبان والخجولين ، صعبة المراس الى أقصى حد . أميل الى التسامح والابتهاج منها الى العطف والاشفاق)

لزبيا : صباح الخير يا أختى الكبيرة العزيزة .

مسز بردچنورث : صباح الخير يا أختى الصغيرة العزيزة **(يتبادلان القبل)**

لزبيا : صباح الخير يا كولنز . انت تبدو فى صحة جيدة. وتبدو شابا **(تجنب الكرسى الأوسط بعينا عن المائدة وتجلس)**

كولنز : هذه هى عادتى بحكم المهنة فى حفلات الزفاف يا آنسة . لابد أن ترينى فى حفلات العشاء السياسية . عندئذ أبدو فى السبعين . **(ينظر الى ساعته)** الوقت يأزف ياسيدتى. هل ابعث بكلمة بالنيابة عنك الى مس ايدث لكى تسرع قليلا فى ارتداء ملابسها ؟

مسز بردچنورث : افعل يا كولنز .

(يخرج كولنز من باب البرج ويأخذ معه الكعكة)

لزبيا : هذا هو كولنز العجوز ! هل روى لك قصصا هذا الصباح ؟

مسز بردچنورث : نعم . لقد فاتك سماع أحد اختراعاته المثيرة .

لزبيـا : عن مسز چورچ ؟

مسز بردچنورث : نعم . انه يقول انها مطلعة على الغيب .

لزبيـا : انا أتســاءل : هل اخترع شخصية مسز چورچ أم سرقها من أحد الكتب !

مسز بردچنورث : وانا أيضا أتساءل !

لزبيـا : أين الأسقف ؟

مسز بردچنورث : فى غرفة المكتب يؤلف كتابه الجديد ، ولايفكر الآن فى زواج ابنته بقدر ما يفكر فى افطاره .

(يأتى الچنرال من الحديقـة وقد هدات أعصابه بعد التدخين)

الچنرال : **(فى لطف ورقة)** آه لزبيـا . كيف حالك ؟

(يتصافحان، يجلس على الكرسى الى يمينها)

(تخرج مسز بردچنورث من باب البرج)

لزبيـا : كيف حالك يا بوكسر ؟ أنت تبدو رائعا مثل كعكة الزفاف .

الچنرال : أنا أرتدى الزى العسكرى كلما حضرت أى حفـل حتى يكون فى ذلك عظة لذوى الرتب الصغيرة . ليست تلك هى العادة فى انجلترا ولكنها يجب أن تكون كذلك .

لزبيـا : أنت تبدو رائعا جدا يا بوكسر . وكل هـذه الأوسمة لا بد أن تكون دليـلا على شجاعة خارقة .

الچنرال : لا يا لزبيا . انها دليل على اليأس والجبن .

لقد نلت الأوسمة الأولى لمحاولتى ان اموت . أنت تعرفين لماذا .

لزبيا : ولكنك قضيت حياة حافلة ؟

الچنرال : نعم ، حياة حافلة . كانت أسنة الرماح تنثنى على صدرى . ورصاص البنادق يخترق جسدى دون أن يترك أثرا . هذا هو اسوا أنواع الرصاص الحديث . فأنا لم أصب أبدا برصاص دم دم . عندما كنت قائد سرية كان لى على الأقل الحق فى ان أعرض نفسى للموت فى الميدان . أما الآن وأنا چنرال فقد انقطع عنى هذا المورد (**يسحب كرسيه فى اغراء بالقرب منها**) اسمعى يا لزبيا . للمرة العاشرة والأخيرة ....

لزبيا : (**مقاطعة**) فى زفاف فلورنس منذ عامين قلت لى للمرة التاسعة والأخيرة .

الچنرال : نحن الآن أكبر عامين عما كنا يا لزبيا . انا فى الخمسين ، وأنت ....

لزبيا : نعم أعرف . لا فائدة يا بوكسر . متى تبلغ من السن حدا تقبل فيه الرد بكلمة لا ؟

الچنرال : أبدا يا لزبيا أبدا . لم تقدمى لى حتى الآن سببا حقيقيا لرفضى . ظننت مرة أن هناك شخصا آخر . كان هناك كثيرون يحومون حولك . ولكنهم جميعا يئسوا منك وتزوجوا . (**ينحنى ليزداد اقترابا منها**) لزبيا : صارحينى بسرك . لماذا ....

لزبيـــا : **(فى اشمئزاز)** أوه . كنت تدخن **(تقف وتتجه نحو الكرسى بقرب المدفأة)** ابتعد ايها التعس .

الجنرال : لولا هذا الغليون لما استطعت مواجهتك دون أن أبكى . فهو الذى يهدىء أعصابى .

لزبيـــا : **(تجلس وفى يدها صحيفة التـايمز)** وقد هدأت أعصابك الى درجة تجعلنى أقول لك لماذا سأصبح عانسا .

الجنرال : **(يقترب منهـا دون وعى)** لا تقولى هـذا يا لزبيا . ليس ذلك طبيعيا . ليس صوابا . انه ....

لزبيـــا : **(تبعده بيديها)** لا .. لا تقترب يا بوكسر ، أرجوك **(يتراجع)** قد لا يكون ذلك طبيعيا ، ولـكنه مع ذلك يحدث . ستجد كثيرا من النســاء أمثــالى ، لو أنك اهتممت بالبحث عنهن . نســاء ذوات خلق وجمال ومال ، لايرغبن فى الزواج ولن يتزوجن . ألاتستطيع أن تخمن لماذا ؟

الجنرال : أستطيع أن أفهم عندما يوجد شخص آخر .

لزبيـــا : ولـكن لا يوجد شخص آخر . ثم هل تظن أننى أبالى بالتفرقة بين رجل مهذب وآخر ، وأنا فى هذه المرحلة من حياتى ؟

الجنرال : للقلب حكمه واختياره يا لزبيا . ان صورة واحدة ، صورة واحدة وحيدة ، لا تمحى ...

لزبيـــا : ارجو المعذرة لمقـاطعتك كثيرا بهذا الشكل .

ولكن مشاعرك واحساساتك صادقة حتى
اننى لأعرف دائما ما تريد أن تقول قبل أن
تتم كلامك . ليس كل انسان على شاكلتك
يا بوكسر . أنت عاطفى أبله . لا ترى النساء
على حقيقتهن . فأنت لا ترانى على حقيقتى .
أما أنا فأرى الرجال الآن على حقيقتهم . وأراك
أنت على حقيقتك .

الجنرال : (متمتما) لا . لا تقولى هذا يا لزبيا .

لزبيا : أنا عانس عجوز . أحب متاعى وممتلكاتى .
أحب أن يكون لى بيتى الخاص ، وأن يكون
لى وحدى . أنا شغوف بكل ما هو جميل
ومناسب ونظيف ومنظم . أعتز باستقلالى
وأغار على هذا الاستقلال . لدى ذخيرة
ذهنية تكفى لكى أكون رفيق نفسى اذا ماكان
لدى كثير من الكتب والموسيقى . والشىء
الوحيد الذى لا أستطيع أن أطيقه أبدا هو
رجل جلف يدخن فى جميع أنحاء بيتى وينام
فى كرسيه بعد العشاء ويخل بنظام البيت .
أوه !

الجنرال : ولكن الحب . . . .

لزبيا : أوه . . . الحب . أليس لديك خيال ؟ أتظن
أننى لم أقع أبدا فى حب رجال مدهشين ؟
أبطال ! ملائكة ! أمراء ! حكماء ! بل حتى
أنذال فاتنون ! وكانت لى معهم أعجب
المغامرات ؟ هل تعرف ما معنى النظر الى

مجرد رجل حقيقى بعد هذا ؟ رجل بأحذيته فى كل ركن . ورائحة تبغه فى كل ستار ؟

الچنرال : (فى شبه ذهول) ولكن ... وأرجو المعذرة لقولى هذا ... ألا تريدين أطفالا ؟

لزبيـا : لابد أن يكون لى أطفـال . سأكون أما طيبة للأطفال . وأعتقد أن وطنى يستفيد أجل الفائدة ان هو جعلنى أستفيد أجل الفـائدة بانجاب أطفال . ولـكن وطنى يقول لى اننى لا أستطيع أن يكون لى طفل فى بيتى بدون أن يكون فيه رجل أيضا . ولذلك أقول لوطنى اننى لن أنجب أطفالا . واذا قدر لى أن أكون أماً فأنا فى الحقيقة لا أستطيع أن أطيق رجلا يضايقنى لأكون زوجة فى الوقت نفسه .

الچنرال : يا عزيزتى لزبيا ، أنت تعلمين أننى لا أريد أن أكون وقحا ، ولـكن هذه ليست هى الآراء الصائبة التى تعبر عنها سيدة انجليزية .

لزبيـا : ولذلك فأنا لا أعبر عنهـا الا للسـادة الذين لا يقبلون أى رد آخر . ان وجه الصعوبة هنا ـ كما ترى ـ هو أننى فى الحقيقة سيدة انجليزية ، وأنا فخـور بنوع خاص لـكونى كذلك .

الچنرال : أنا واثق من هـذا يا لزبيا ، كل الثقـة . لم أقصد أبدا ....

لزبيـا : (تقف نافدة الصبر) أوه يا عزيزى بوكسر . ارجوك . حاول أن تفكر فى شىء آخر ، وليس

فيما إذا كنت أهنتنى وما اذا كنت تسلك المسلك الصائب كجنتلمان انجليزى . أنت معصوم من الخطأ ، وسقيم ، ثقيل الدم **(تهز كتفيها فى نفاذ صبر وتعبر المطبخ الى الناحية الأخرى) .**

الچنرال : **(مكتئبا)** اذن فهذا هو ما تأخذينه على . لست ذكيا . جندى غبى مسكين .

لزبيا : الأمر كله فى غاية البساطة . أنا كما قلت لك سيدة انجليزية ، أعنى بذلك أننى تدربت على الاستغناء عما لا أستطيع الحصول عليه بشروط لا تمس الشرف ، مهما يكن الأمر .

الچنرال : أنا فى الحقيقة لا أستطيع أن أفهمك يا لزبيا .

لزبيا : **(منقلبة عليه)** اذن فلماذا بالله عليك تريد أن تتزوج امرأة لا تفهمها ؟

الچنرال : لا أدرى . لعل ذلك لأننى أحبك .

لزبيا : تستطيع أن تحبنى كما تشاء يا بوكسر ، بشرط أن تبدو سعيداً وألا تضايقنى . ولكنك لا تستطيع أن تتزوجنى . هذا كل ما فى الأمر .

الچنرال : من الصعب جداً مناقشة هذا الأمر معك دون ايلامك بالخروج على حدود الذوق واللياقة . ولكن من المؤكد أن نداء الطبيعة .....

لزبيا : لا تكن مضحكاً يا بوكسر .

الچنرال : كيف استطيع التعبير اذن ؟ هذه مناقشة ملعونة . ألا تريدين زوجاً يا لزبيا ؟

لزبيــا : لا . أريد أطفالا . أريد أن أكرس نفسى تماماً لأطفالى وليس لأبيهم . القانون لا يسمح لى بهذا . ولذا صممت على الا يكون لى زوج أو أطفــال .

الچنرال : ولكن بالله عليك ، هذه الشهية الطبيعية ...

لزبيــا : قلت لك ان السيدة الانجليزية ليست أمة لشــهيتها . هــذا هو ما يعجز عن فهمـه الچنتلمان الانجليزى (**تجلس عنـد طرف المائدة بالقرب من باب المكتب**)

الچنرال : ما دمت ترفضـين فأنت ترفضـين . لن أسألك مرة أخرى . أنا آسف لأننى عدت الى هذا الموضوع (**ينسحب الى المدفأة ويستقر عندها جريحا فى أنفة**)

لزبيــا : لا تغضب يا بوكسر .

الچنرال : لست غاضباً يا لزبيا . جريح فقط . وعندما تتحدثين بهذا الشكل لا أشعر بأننى اقتنعت، ولكن بأننى تائه تماماً .

لزبيــا : أنت تعرف شعار الأسرة . /اذا شعرت بأنك تائه فعليك ببائع الخضر/. (**يدخل كولنز من باب البرج**) ها هو .

كولنز : آسف يا آنسة لأننى أكثر من الدخول والخروج هكذا . كنت أظن أن مسز بردچنورث هنا . المائدة جاهزة الآن لطعام الافطار ، ان كانت تريد رؤيتها .

لزيـــا : اذا كنت انت راضياً يا كولنز فانا واثقة انها ستكون راضية .

الچنرال : كولنز . كنت اظن انك عينت نائب عمدة .

كولنز : هذا صحيح يا چنرال .

الچنرال : اذن فأين عباءتك ؟

كولنز : لا أرتديها فى حياتى الخاصة يا چنرال .

الچنرال : لماذا ؟ هل تخجل منها ؟

كولنز : لا يا چنرال . بل الحق أننى فخور بها . رغم ارادتى .

الچنرال : تعال هنا يا كولنز **(كولنز يتجه اليـه)** هل ترى بدلتى العسكرية . . . وكل هذه الأوسمة؟

كولنز : نعم يا چنرال . انها تبهر العين .

الچنرال : هذا هو المقصـود . أنت تعلم الآن ، اليس كذلك ؟ ان الخدمات التى تقدمهـا للمجتمع بوصفك بائع خضر لا تقل أهمية واحتراماً عن الخدمات التى أقدمها أنا بوصفى جندياً ؟

كولنز : أنا واثق أن هـذا القول منتهى الكرم منك يا چنرال .

الچنرال : **(مؤكداً)** وأنت تعلم أيضاً ، أليس كذلك ، أن أى شـخص يرى فى عملك أو فى ملابسـك ما يضـحك أو ما يتنافى مع الرجولة أو مع الذوق لا يعتبر چنتلمان ، وانما يعتبر شخصاً حقيراً سافلا دنيئاً ؟

كولنز : بينى وبينك يا چنرال ، هذا هو رأيى .

الجنرال : فلماذا اذن لا تشرف زفاف ابنة اختى بارتدائك العباءة ؟

كولنز : هذه صفقة تجارية يا چنرال . مسز بردچنورث طلبت بائع الخضر ولم تطلب نائب العمدة . وانت اذا حصلت على اكثر مما طلبت، فان ذلك لايقل مضايقة عما لو حصلت على أقل مما طلبت .

الجنرال : انا متأكد أنها ستوافق على ما أقول . اننى أعلق على ذلك أهمية كبيرة كدليل على التضامن فى خدمة المجتمع . مسح القسيس ، بدلتى العسكرية ، عباءتك : الكنيسة ، الجيش ، البلدية .

كولنز : **(منسحباً)** حسن يا چنرال **(يلتفت الى لزبيا فى ارتياب وهو فى طريقه الى البرج)** لست أدرى ماذا ستقول زوجتى يا آنسة .

الجنرال : ماذا ؟ هل تخجل زوجتك من عباءاتك ؟

كولنز : لا يا سيدى ، انها لا تخجل منها . ولكنها تحسرت على ما دفعته فيها من ثمن . وهى تخشى أن ينغمس كم العباءة فى الصلصة .

(تدخل مسز بردچنورث وقد خرجت عن رزانتها وبيدها خطاب . تمر مسرعة بكولنز ثم تقف بين لزبيا والچنرال)

مسز بردچنورث : لزبيا ، بوكسر . هذه آخر لخبطة .

(يخرج كولنز فى حذر)

الجنرال : ماذا حدث ؟

مسز بردچنورث : رچنالد فى لندن . ويريد أن يحضر الزفاف .

الچنرال : **(مذعورا)** الطف يا رب !

لزبيا : فليأت .

الچنرال : فليأت . لم يصبح الحكم نافذا بعد . فهل يأتى لحضور زفاف ايدث وهو خارج من محكمة الطلاق ؟

مسز بردچنورث : **(تجلس مهتاجة فى الكرسى الأوسط)** أمر سيىء للغاية . لا . لا أستطيع أن أصفح عنه . لا يا لزبيا . رجل فى سن رچنالد ، وله زوجة شابة ، من أحسن البنات ، وفى غاية الجمال ، يفر مع امرأة من عامة الشعب، من الشارع ! أوه .

لزبيا : يجب أن تلتمسى المعاذير . ماذا تنتظرين ؟ لقد ظل رچنالد ضعيفا طول عمره . نشأ وتربى ليكون ضعيفا. كانت كل أملاك الأسرة مرهونة عندما آلت اليه ملكيتها . فكان لزاما عليه أن يواجه متاعب مالية باستمرار ، ومضايقات من المحامين ، واستبدادا معنويا من الأسقف ، واستبدادا بدنيا من بوكسر ، هذا بينما رچنالد وزوجته يشقان طريقهما ويتدربان خير تدريب . أنت تعلمين جيدا أنه ما كان يستطيع أن يتزوج الا بعد فك الرهن وبعد أن يكون عمره قد تجاوز الخمسين . وعندئذ كان من الطبيعى أن يرتكب تلك الحماقة فيتزوج طفلة مثل كليو.

الجنرال : ولكنه كان يضربها . فظيع أن يضربها على الاطلاق ، لقد ألقاها على الأرض . ألقاها على الأرض فى الحديقة فى أحد أحواض الزهور أمام البستانى . هو ، رأس العائلة ، الرجل الذى يقف أمام الأسقف وأمامى وهو يحمل اسم بردچنورث لعائلة بردچنورث ! يضرب زوجته ثم يفر مع امرأة وضيعة ويطلق زوجته على ملأ من انجلترا كلها ! على ملأ من بدلتى العسكرية ومسح ألفرد ! أنا لا يمكن أن أنسى شعورى عندئذ . لولا ارادة الملك الشخصية ـ لقد كانت فى الواقع امرا لا ارادة ـ لكنت قد استقلت من الجيش . لو رأيت رچنالد فى الشارع لقتلته .

مسز بردچنورث : كما أن ليو ستأتى هى الأخرى . وسيتقابلان . هذا مستحيل يا لزبيا .

لزبيا : أوه . لقد نسيت ذلك . هذا يضع حدا لهذه المسألة . يجب ألا يأتى .

الجنرال : بالطبع يجب ألا يأتى . أخبريه أنه اذا دخل هذا المنزل خرجت أنا منه . وكذلك سيفعل كل رجل وامرأة لهما كرامة فى هذا المنزل .

كولنز : (**يعود ليعلن قدوم :**) مستر رچنالد يا سيدتى (**ينسحب عندما يدخل رچنالد**)

الجنرال : ألطف يا رب !

(يبدو رچنالد كما وصفته لزبيا . قاس وخشن من الناحية البدنية . متسرع

وصبيانى فى مسلكه وحديثـــه . ينتمى الى الطبقة الـكبيرة من الســادة الانجليز ذوى الأملاك التى يتولى ادارتها المحامون ، هؤلاء السادة الذين لم تنم عقلياتهم منذ أن تركوا الدراسة . انه غير متزن ، متمرد ، متعجل ، مشــوش ، كثير النســيان ، دائما متاخر ، يبدو بوضــوح أنه فى حاجة آلى عناية امراة قديرة ، ولم يكن له من الحظ أو من الجاذبية ما يكفى لحصوله على هذه العناية. ومع ذلك فهو رجل محبوب لا يحمــل ضغينة لأحد ولا يستطيع أن ينجز عملا ما . وهو يبدو أصــغر من أخيه الچنرال فى كل شىء الا فى السن)

رچنالد : **(يتقدم ليقف بين الچنرال ومسز بردچنورث)** لا فائدة يا آليس . لا أستطيع أن أتغيب عن زفاف ايدث . صباح الخير يا لزبيا . كيف حالك يا بوكسر ؟ **(يقــدم يده للچـنرال)**

الچنرال : **(فى جمــود قاتل)** كنت أقول لآليس الآن يا سـيدى انك اذا دخلت هذا المنزل وجب على أن أخرج منه .

رچنالد : اذن فلن أمنعك . عند ما تخــاطب النــاس بقولك « يا ســيدى » فان صحبتك لا تكون ممتعة .

لزبيــا : لا تبدءا فى الشجار ، فلن يســاعد ذلك على تحسين الموقف .

مسز بردچنورث : كنت تستطيع الانتظار الى ان يصلك ردى يا رچى .

رچنالد : من السهل جدا أن يقول الانسان لا فى خطاب . ألن تدعينى أبقى ؟

مسز بردچنورث : كيف أستطيع ذلك ؟ ليو آتية .

رچنالد : لا مانع لديها .

الچنرال : لا مانع !

لزبيا : لا داعى للعبث يا رچى . هيا . اذهب .

الچنرال : (فى سخرية مرة) كنت فى المدرسة تؤمن على ما أتذكر بنظرية تقول ان المرأة تحب الضرب .

رچنالد : أنت لطيف وشهم وعطوف كالحلوف .

الچنرال : مستر بردچنورث : هل تغادر هذا المنزل أم أغادره أنا ؟

رچنالد : بل تغادره أنت (يؤكد نيته فى البقاء بالجلوس)

الچنرال : آليس : هل تجعليننى أبتعد عن زفاف ايدث بسبب هذا ....

لزبيا : (منذرة) بوكسر !

الچنرال : هل هو الذى يسلم ايدث لعريسها ؟

مسز بردچنورث : بالتأكيد لا ! رچنالد : لم يطلب أحد منك الحضور . وقد طلبت منك أن تذهب . أنت تعرف مقدار حبى لكليو . وتعرف كيف يكون شعورها اذا جاءت ووجدتك هنا .

كولنز : (يبدو من جديد عند باب البرج) مسز رچنالد يا سيدتى .

لزبيا : لا . لا . قل لها . .
مسز بردچنورث : يا لسوء الحظ !
الچنرال : ألطف يا رب !

} **الثلاثة فى وقت واحد .**

(فات الأوان . ليو الآن فى المطبخ فعلا . يخرج كولنز مخلفا موقفا يأسف له ولكنه لم يستطع تفاديه . ليو على جانب كبير من الجمال ، صغيرة وشابة ، قلقة جدا ، ولذا فهى تبدو فى غاية الظرف فى أعين من يستهويهم الشباب والجمال ، وكذلك من يعتبرون النساء الصغيرات قطعة من الحلوى فاتحة للشهية ولا ينظرون الى السيدات العجائز اطلاقا . اذا درسنا شخصية كليو على مهل تبين أن قلقها ليس أمرا محبوبا محبة الجو الذى يحيط بامرأة كلها حيوية طاغية . لقد ولدت لتهتم بنفسها وبكل من تشعر أنها مسئولة عنه . وكبرياؤها تدفعها الى المبالغة فى مسئولياتها . وكل اهتمامها منصب على صغار الأمور ، ولكنها غالبا ما تطلق عليها أسماء كبيرة ، كالفن ، والشرارة المقدسة ، والعالم ، والأمومة ، والتربية الحسنة ، والكون ، والخالق ، أو أى شىء آخر ترى أنه يبدو ذا أهمية ثقافية . ان لها أكثر من مخيلة عادية . ولكنها عادية فى قدرتها على

التصور والنفاذ الى بواطن الأمور . ولذا فهى
دائما تتشدق بالألفاظ وهى دائما على هامش
الأمور . وهى اذ تظن نفسها ذكية مفكرة
أسمى من أن تضعف أو تخضع للأهواء ،
تتعلق فى طيش بالرجال المهرة فتكون النتيجة
أنهم يغتبطون فى البداية ثم يتعبون فيسأمون .
عندما تزوجت رجنالد قالت لأصدقائها ان
فيه صفات كثيرة تحتاج الى الظهور . لو
كانت رجلا فى منتصف العمر لأثار الرعب فى
النادى الذى ينتسب اليه . أما وهى امرأة
جميلة شابة فان الانسان يغفر لها كل شىء
ليثبت خطأ المثل الفرنسى القائل ((كل ما هو
مفهوم جدير بالصفح)) ، لأن الحقيقة هى أن
سر الصفح عن أى شىء هو ألا تفهم شيئا .

(تندفع داخلة فى تكلف ، شاعرة بأهميتها ،
فتتجه نحو لزبيا التى هى أقل ميلا الى
تدليلها من مسز بردچنورث . ولكن ليو
تتظاهر بأن بينها وبين لزبيا نوعا خاصا من
الألفة كذلك الذى يكون بين اثنين من المفكرين
يعيشان وسط مجموعة من الجهلة)

ليو : (الى لزبيا وهى تقبلها) صباح الخير (تتجه
الى مسز بردچنورث) كيف حالك ياآليس ؟
(متجهة نحو المدفأة) لماذا تبدو عابسا

يا چنرال ؟ (**يقف رچنـــالد بينهـا وبين الچنرال**) أوه رچى ! اظن انه لابد ان اقبلك . ارجو الا يتحدث بذلك احد منكم (**تقبـلـه . لايصدقون أعينهم**) هل وفيت بوعودك كلها ؟

رچنالد : أوه . لا تتعبى نفسك بالسؤال عن ....

ليـو : (**مصرة**) هل ؟ وفيت ؟ بوعودك ؟ كلهـا ؟ هل تدلك رأسك بالزيت كل ليلة ؟

رچنالد : نعم . نعم . كل ليلة تقريبا .

ليـو : تقريبا ! أعرف معنى هذا . هل تلبس حزام البطن ؟

الچنرال : (**فى جد**) ليو : ان العفو من أجمل الصفات فى طبيعـة المرأة . الا أن هنـاك بعض أمور يجب ألا تعفو المرأة عن الرجل من اجلهـا . عنـدما يلقى رجل بامرأة على الأرض (**ليو تصرخ ضاحكة ضحكة قصـيرة وترتمى على كرسى بجـانب مســز بردچنـورث ، الى يسارها**)

رچنالد : (**ساخرا**) الرجل الذى يرفع يده على امرأة ليس جديرا باسم بردچنورث (**يجلس عند طرف المائدة القريب من المدفأة**)

الچنرال : (**فى غيظ شديد**) اذا كانت ليو لا تمانع فليس لدى ما أقوله . ولـكننى أرى لاعتبـارات عائليـة ، أن تضرب زوجتك فى السر لا على مرأى من البستانى .

رچنالد : (**نافد الصبر**) وما هى الفـائدة من ضربك

زوجتك الا اذا كان هنـاك شاهد يشهد على ذلك فيما بعد ؟ هل تظن أن الرجل يضرب زوجته لمجرد الرغبـة فى ذلك ؟ كيف كانت تحصل على الطلاق لو لم أضربها ؟

الجنرال : (**يشهق**) هل تريد أن تقول انك فعلت ذلك عامدا ؟ لالشىء الا لتتخلص من زوجتك ؟

رچنالد : لا . لم يكن هذا هوالسبب . لقد فعلت ذلك لكى تتخلص هى منى . ماذا كنت تفعـل لو كنت من الحماقة بحيث تتزوج امرأة تصغرك بثلاثين عاما لتجـد أنها لا تحبك وأنها تحب شابا الله وجه كعيش الغراب ؟

ليـو : هذا غير صحيح (**تنفجر بالبكاء**) ثم انك شديد القسوة اذ تقول اننى لم أكن أحبك . ما من أحد كان يمكن أن يكون أشد غراما بك منى .

رچنالد : طريقة جميلة لاظهار غرامك . لقد خرجت وحفرت حوض الزهور كله بيـدى لأجعـله لينا . وأخليته مما كان به من أحجار . وبعد ذلك شكت من أننى لم أفعل ذلك باتقان لأن دودة علقت برقبتها . وقد سافرت الى مدينة برايتون مع فتاة مسـكينة أعجبت بى ونحن فى الطريق ، وأنبنى ضميرى بعد العشـاء لما ارتكبته من تزوير . فقد كنت مضطرا الى أن أسجل اسمها فى سجل الفنـدق تحت اسم مسز رچنالد بردچنورث ، اسم ليـو . هل تدركون مايشعر به الرجل الطيب ازاء ذلك؟

هل تحب ان تذهب الى أحد الفنادق امام الخدم والناس وفى ذراعك فتاةكهذه ؟ بالطبع لم تكن غلطة الفتاة المسكينة . ولكنها اخذت فى البكاء لأننى لم استطع ان اطيقها وهى تمسنى بيدها . وما زالت تكتب لى حتى الآن . وبعد ذلك اقف أمام المحكمة بتهمة القسوة والخيانة الزوجية ، وتطردنى آليس من زفاف ايدث ، وتلقى أنت على محاضراتك ، أنت الأعزب ، أعزب خام ! ما أدراك بمثل هذه الأمور ؟

الچنرال : هل أفهم من ذلك أن القضية كلها ملفقة ؟

رچنالد : بالطبع ملفقة . نصف القضايا ملفق . وما عسى أن يفعل الناس ؟ **(يمر الچنرال بيده فى دهشة على جبينه الحائر ويغوص فى كرسيه)** وماذا تظن فى حتى تتجرأ وتتظاهر بأنك تصدق كل هذا الكلام الفارغ عن طرحى كليو أرضا وهجرها من أجل هذه ... هذه ... أوه ... كان يجب أن تراها .

الچنرال : أنا مندهش غاية الدهشة . لماذا فعلت ذلك؟ ولماذا سمحت ليو بذلك ؟

رچنالد : الأفضل أن تسألها .

ليو : **(ما زالت تبكى)** لم أكن اظن أبدا أن الأمر سيكون بهذه الفظاعة بالنسبة لريچى . لقد عرضت عليه أن أفعل أنا ذلك وأجعله يطلقنى ولكنه رفض . وقال ان هذه هى الطريقة

الوحيدة للطلاق، وانها هى الطريقة القانونية. ولم أر هـذه المخـلوقة الـكريهة ابدا الا فى المحكمة . ولو كنت رأيتها قبل ذلك لما كنت سمحت بذلك أبدا .

مسز بردچنورث : هل فعلت كل ذلك من أجل ليو يا ريچى ؟

رچنالد : (**باحساس من المهانة لا يطاق**) ما كنت أبالى مثقال ذرة لو كان ذلك من أجل ليو . أما ان أفعل ذلك لأفسح الطريق لذلك الثعبان الذى له وجه كعيش الغراب !

الچنرال : (**يقفز**) أى حق له حتى تفسح له الطريق ؟ هل أنت بكامل حواسك ؟ أى حق له ؟

رچنالد : حقه كشاب يناسب شابة . فأنا لم يكن لى حق فى مثل سنى فى الزواج من ليو ، فانها لم تكن تعرف عن الحياة أكثر مما تعرفه طفلة .

ليـو : كنت أعرف عن الحياة أكثر بكثير مما يعرفه طفل كبير مثلك . ولست أدرى كيف ستعيش وليس معك أحد يعنى بأمرك . وغالبا ما أسهر الليل أفكر فى ذلك . والآن جعلتنى بائسـة تمـاما .

رچنالد : هذا ما تستحقينه (**تنتحب**) لا تنفعلى يا ليو.

لزبيـا : هل لى أن أسأل من هو الثعبان الذى له وجه كعيش الغراب ؟

ليـو : **انه ليس كذلك .**

رچنالد : سنچون هوتشكيس بالطبع .

مسز بردچنورث : سنچون هوتشكيس ! انه مدعو لحضور الزفاف !

رچنالد : ماذا ؟ فى هذه الحالة سأنصرف **(يتجه نحو البرج)**

ليو : **(تمسك به)** لا . لن تذهب لقد وعدت بأن تكون لطيفا معى .

الچنرال : لا . لا تذهب يا رجل . لابد أن تحضر زفاف ايدث .

مسز بردچنورث : ابق يا ريچى . سأتألم ان ذهبت .

لزبيا : الأفضل أن تبقى يا رچنالد . فلا بد أن تلقاه عاجلا أو آجلا .

(يندفع الأربعة خلفه ويمسكون به)

رچنالد : منذ لحظة عند ما كنت أريد أن أبقى كنتم جميعا تطردوننى من البيت . أما الآن وانا أريد الانصراف ، فأنتم تريدون أن أبقى .

مسز بردچنورث : سأبعث الى مستر هوتشكيس لكيلا يأتى .

ليو : **(تبكى من جديد)** أوه آليس ! **(تعود الى كرسيها محطمة القلب)**

رچنالد : **(نافد الصبر)** فليكن لها ما تريد . فليأت عيش الغراب : فليأتوا كلهم .

(يعبر المطبخ نحو « البوريه » ويجلس فوقه حزينا . تهز مسز بردچنورث كنفيها وتجلس الى المائدة بجوار رچنالد

تصفى فى وداعة واستسلام . لزبيا ، وقد نفد صبرها من دموع ليـو ، تخرج الى الحديقة وتجلس هناك بالقرب من البـاب تستنشق الهواء النقى بعد أن تخلصت من شئون رچنالد الخاصة الخانقة)

ليـو : انها لقسوة منك يا ريچى أن تمضى فى الزعم بأننى لا أحبك .

رچنالد : **(بمرارة)** لقـد قالت لى انهـا تريد الطلاق لأنهـا استنفدت كل محـادثاتى وسـئمت أحاديثى معها .

الچنرال : **(مقبلا على ليو بروح الأبوة)** يافتاتى العزيزة : لقد استنفدت كل المحادثات فى الدنيا منذ زمن طويل . والله يعلم أننى استنفدت كل الحديث عن الجيش البريطـانى خلال هـذه الأعوام الثلاثين ، ولكننى لاأترك الجيش لهذا السبب .

ليـو : ليس السبب أننى استنفدت أحاديثه ، ولكنه يظل يكررها عندما أريد أن أقرأ أو أنام . اما سنچون فيسلينى . انه بارع لبق .

الچنرال : **(مذعورا)** ها ! الشـكوى القديمة . كلـكن تردن أن تتزوجن عباقرة . ان هذا الاقبـال على ذوى البراعة واللباقة أمر مضحك . لابد أن تتزوج بعض النساء من الأشخاص العاديين المخلصين الأغبياء . أما فكرت فى ذلك ؟

ليـو : ولكن هناك كثيرا من النساء الغبيات . فلماذا يريدون الزواج منا ؟ ثم ان ريچى يعلم اننى

أحبه لأنه يريدنى . وأحب سنچون لأننى أريده . اننى أشعر ان على واجبا نحو ريچى .

الچنرال : بالضبط : عليك واجب نحو ريچى .

ليو : وريچى عليه واجب نحوى بطبيعة الحال .

الچنرال : تتتت . . . .

ليو : أوه ما أغبى هذا القانون ! لماذا لا أستطيع أن أتزوجهما معا ؟

الچنرال : **(مصعوقا)** ليو !

ليو : أنا أحبهما كليهما . أود لو استطعت أنأتزوج كثيرا من الرجال ! أحب أن يكون معى ريچى كل يوم ، وأن يصحبنى سنچون الى حفلات الكونسرت والمسارح وعند الخروج كلمساء، وأن يكون معى قديس عظيم صارم مرة فى العام فى نهاية الموسم ، وفتى غبى مرح أبله لكى أكون خبيثة معه . فأنا قلما أشعر بميل الى الخبث والشقاوة . وعندما أشعر بذلك فان هذا الشعور يتبدد مع الأسف لأن من الغباء أن أعترف به لرجل حقيقى كامل الرجولة .

رچنالد : هذه عينة من حديثها .

الچنرال : **(فى حزم)** آليس : هذه مسألة يبت فيها الأسقف . انهأسقف ، ومنواجبه أنيتحدث الى ليو . أستطيع أن اتحمل الكثير ، ولكن

عندما يبلغ الأمر حد تعدد صريح للازواج والزوجات فلا بد من أن نفعل شيئا .

مسز بردچنورث : **(ذاهبة الى باب غرفة المكتب)** تعال هنا لحظة يا ألفرد . اننا نواجه بعض المصاعب .

الأسقف : **(من الداخل)** استشيرى كولنز . انا مشغول .

مسز بردچنورث : كوالنز لا فائدة منه . انه امر خطير جدا . تعال لحظة يا عزيزى . **(عند ما تسمعه قادما تجلس على كرسى عند طرف المائدة القريب منها)**

(يخرج الأسقف من غرفة مكتبه . ما زال نحيلا نشيطا ، قليل اللحم ، أصغر من أخويه فى الطباع والمزاج . ذو يدين ناعمتين وجلد رقيق ، وأنف بارز مع ذقن تناسبه، ولحية قصيرة تزيد ذقنه حدة بنمو شعرها فى استقامة ، وعينين تدلان على الذكاء والفكاهة ولا تخلوان من الخبث ، سريع الحديث أخاذه ، له أساليب رجل ناجح يهتم دائما بامر نفسه ويميل على وجه العموم الى الزهو بنفسه . وعندما تسمع لزيبا صوته تستدير بكرسيها نحوه ثم تقف بالباب تصغى الى الحديث)

الأسقف : **(متجها نحو ليو)** صباح الخير يا عزيزتى . هالو ! لقد جئت برچنالد معك . هذا لطيف منك جدا . هل صالحتهما يا بوكسر ؟

الجنرال : صالحتهما ! لقد كان الطلاق مسـألة مدبرة ملفقة . انها تريد أن تتزوج شخصاً اسمه هوتشكيس .

رچنالد : شخص له وجه ك . . . .

ليـو : لا يا ريچى . بل له وجه جميل جداً .

مسز بردچنورث : وهى تقول الآن انها تريد أن تتزوجهما كليهما، وكثيراً غيرهما .

ليـو : لم أقل اننى أريد أن أتزوجهما . بل قلت اننى أود لو استطعت أن أتزوجهما .

الأسقف : هذه تفرقة لطيفة جداً يا ليو .

ليـو : فى المناسبات فقط .

الأسقف : (**يجلس بجانبها فى انطلاق**) تمـاماً . أحيانا شاعر ، وأحيانا أسقف ، وأحيانا أمير خرافى، وأحيانا شخص لا يمكن وصفه أبداً ، وأحيانا لا أحد على الاطلاق .

ليـو : نعم . هو كذلك تماما . كيف عرفت ؟

الأسقف : أعتقد أن معظم الفتيات ذوات الخيال والثقافة يشعرن بذلك . أنا لا أقيم وزنا لأية فتـاة لا تشـعر بذلك . لقد أشار شيكسبير منذ زمن طويل الى امرأة أرادت أن يكون لها زوج فى يوم الأحد وزوج لبقية أيام الأسـبوع . ولكنه ، كعادته ، لم يتابع فكرته .

الجنرال : (**مأخوذا**) هل أفهم أن . . . .

الأسقف : (**يقفه عند حده**) والآن يا بوكسر ، هل انا الأسقف أم أنت ؟

الچنرال : **(غاضبا)** انت !

الأسقف : اذن فلا تسألنى عما تفهم .

الچنرال : حسن . استمر فى الحديث . انا لست ذكيا. ما أنا الا جندى غبى . ها . استمر **(يرتمى على كرسيه متأهبا لما هو أسوأ)**

مسز بردچنورث : ألفرد : لا تغضب بوكسر .

الأسقف : اذا كنا نريد أن نناقش مسائل أخلاقية فلابد أن نبدأ باعطاء الشيطان حقه . وهذا ما لا يفعله بوكسر أبدا . وهذا ما لا تفعله انجلترا أبدا . نحن نسلم دائما بأن الشيطان مذنب . ولا نسمح له أبدا بأن يثبت براءته ، لأنه لو نجح فى ذلك لكان هذا منافيا للآداب العامة . اعتدنا أن نفعل ذلك مع المسجونين بتهمة الخيانة العظمى . والعاقبة هى أننا نسىء الى أنفسنا لأن الشيطان يتمكن منا فى نهاية الأمر . لعل هذا هو ما يقصد معظمنا أن يفعله الشيطان بهم .

الچنرال : ألفرد : لقد طلبناك هنا لكى تعظ ليو فاذا بك تعظنى بدلا منها . لست أذكر أننى قلت او فعلت شيئا يستدعى ذلك الاهتمام الذى لم أطلبه .

الأسقف : ولكن المسكينة ليو لم تقل الا الحق المجرد ، بينما أنت يا بوكسر تتحدث عن المسائل الأخلاقية .

الچنرال : ما أنا الا جندى غبى . ها . ولكننى استطيع

أن أوجه سؤالا صريحا : هل تشجع ليو على أن يكون لها أكثر من زوج ؟

الأسقف : تذكر الامبراطورية البريطانية يا بوكسر . خاصة وانت جنرال بريطانى .

الچنرال : وما دخل ذلك فى تعدد الأزواج ؟

الأسقف : الغالبية الكبرى من مواطنينا رجالا ونساء لهم أكثر من زوج وزوجة ، وانا لا أستطيع - بوصفى أسقفا بريطانيا - أن أهينهم بالحديث عن تعدد الأزواج والزوجات حديثا خاليا من الاحترام . هذه مسألة فى غاية الطرافة . فان كثيرا من ذوى الشخصيات الهامة كانت لهم أكثر من زوجة ، سليمان الحكيم ، والنبى محمد ، وصديقنا دوق ... دوق ... لا أستطيع أن أتذكر اسمه أبدا .

الچنرال : أولى بك يا ألفريد أن ترسل هذه الفتاة الغبية الى زوجها وواجبها ، بدلا من أن تلجأ الى البراعة فى الحديث والسخرية من ديانتك . ان من يجمع بينهم الله لا يفرقهم البشر . تذكر هذا .

الأسقف : لا تخش شيئا يا بوكسر . ان من يجمع بينهم الله لن يفرق بينهم بشر . فالله كفيل بذلك **(الى ليو)** على فكرة ، من الذى جمع بينك وبين رچنالد يا عزيزتى ؟

ليو : كان ذلك القسيس الفظيع الذى انكب فيما بعد على الخمر ، وراح يسافر فى الدرجة

الأولى بالقطار بتذكرة درجة ثالثة ، ثم حاول أن يصبح ممثلا مسرحيا ففشل ... كان يدعى اجرتون فوذرنجيى (١) .

الأسقف : أيا كان هؤلاء الذين يجمع بينهم اجرتون فوذرنجيى ، فليفرق شملهم القاضى سير جوريل بارنز .

الچنرال : قد أكون جنديا غبيا ، ولكننى اسمى ذلك زندقة .

الأسقف : (جادا) خير لى أن أتسمى باسم مستر اجرتون فوذرنجيى صادقا من أن تتسمى أنت عبثا باسم أسمى منك .

لزبيا : ألا يمكن أن تلتقوا أنتم الأشقاء الثلاثة بدون شجار ؟

الأسقف : (ملاطفا) ليس هذا شجارا يا لزبيا .. ما هى الا معيشة الأسرة الانجليزية . صباح الخير .

ليو : كرم منك أيها الأسقف أن تقف الى جانبى ، ولكن ذلك أصابنى بصدمة ... نوعا ما .

الأسقف : اذن فقد وفقت أكثر مما وفق بوكسر فى تهيئة تفكيرك التهيئة المناسبة .

الچنرال : (ساخرا) هاه .

ليو : أبدا . لأننى سأذهلك الآن الى أقصى حد . أنا أعتقد أن سليمان كان وحشا عجوزا .

---

(١) Egerton Fotheringay

الأسقف : هذا هو بالضبط ما ينبغى ان يكون رايك فيه يا عزيزتى ، فلا تتلمسى الأعذار .

الجنرال : **(وقد ازداد ذهولا)** هذا كلام ملعون . لقد ورد ذكر سليمان فى الانجيل . ثم ان سليمان كان سليمان .

ليو : وأنا أتمسك بما قلت . ما زلت أريد ان يكون لى عدد من الرجال أعرفهم معرفة ألفة ومودة ، أصارحهم بكل ما يخطر لى ببال ، ويصارحوننى بكل ما يخطر لهم ببال .

الأسقف : وسيكون لك ما تشائين يا عزيزتى انأسعدك الحظ . ولكن لا حاجة بك الى أن تتزوجيهم جميعا . فكرى فى عدد الأزرار التى ستخيطينها لهم . وفوق هذا ، ليس هناك ما هو أفظع من زوج يظل دائما يصارحك بكل شيء يدور بخاطره ، ويريد دائما أن يعرف ما يدور بخاطرك .

ليو : **(وقد أذهلها هذا القول)** هذا قول ينطبق تماما على رچى . بل هذا هو السبب الذى طلقته من أجله .

الأسقف : **(معزيا)** نعم ... دائما يعيد ما يقول بشكل مزعج . أليس كذلك ؟

رچنالد : اسمع يا ألفرد ، اذا كانت لى عيوبى ، فلتهتد هى اليها بنفسها دون مساعدة منك .

الأسقف : لقد اهتدت اليها بالفعل يا رچنالد .

ليو : **(وقد استاءت قليلا)** على أية حال ، يوجد

من هم أسوأ حالا من رچنالد . وانني لأجرؤ على القول بأنه ليس فى مثل ذكائك ، ولكنه ليس غبيا بالقـدر الذى تظنه كما يبدو من كلامك .

الأسقف : تمام يا سيدتى. دافعى عن زوجك . وأرجو أن تدافعى دائما عن جميع أزواجك (**ينهض ويتجه نحو المدفأة حيث يقف فى بشـاشة وظهره الى النار ، وهو ينظر اليهم ملاطفا كما لو كان فى غرفة ملأى بالأطفال**)

ليـو : أرجوك ألا تحدثنى كما لو كنت أريد الزواج بكتيبة بأكملها. فلن يكون لى أكثر من اثنين . لن أحب سوى رچى وسنچون .

رچنالد : هذا الرجل الذى له وجه كوجه . .

ليـو : لن أسمح لك بهذا يا رچى . هذا أمر يبعث على الاشمئزاز .

الأسقف : كما أنك يا عزيزتى ستستنفدين كل ما لدى سنچون من حديث فى أسبوع أو نحو ذلك . فما أشبه الرجل بفونوغراف به نصف دستة من أسطوانات ، سرعان ما تملينها جميعا . ومع ذلك عليك أن تجلسى الى المائدة بينما يدير الفونوغراف ليسمع هذه الاسـطوانات لكل زائر جديد . وعليك فى النهاية أن تقنعى بما لديه من انسانية يشترك فيها مع سائر الناس. وعندما تبلغين هذه المرحلة ، تكونين قد اهتديت بشـأن الرجال الى ما اعتاد أن

يقوله شاعر انجليزى كبير من معارفى بشأن النساء ، فقد كان يقول عنهن : « انهن جميعا بمذاق واحد » . تزوجى من تشائين ، تجديه بعد شهر صورة أخرى من رچنالد . وستقولين لنفسك : ما كان الأمر ليستحق التغيير . نعم ... ما كان الأمر ليستحق التغيير .

ليو : اذن فمن الخطأ الزواج .

الأسقف : نعم يا عزيزتى . ولكن الخطأ الأكبر بكثير هو عدم الزواج .

الچنرال : **(يقف)** ها ! هل تسمعين ذلك يا لزبيا ؟

(ينضم اليها عند باب الحديقة)

لزبيا : ما هى الا حذلقة فى الحديث يا بوكسر .

الچنرال : انه حديث معقول يا لزبيا . عند ما يتحدث الرجل حديث هراء فهذه حذلقة . أما اذا تحدث حديثا معقولا فأنا أتفق معه .

رچنالد : **(يتقدم مبتعدا عن ((البوريه)) وهو ينظر الى ساعته)** الوقت متأخر . أين ايدث ؟

مسز بردچنورث : اذهبى واستعجليها يا لزبيا .

لزبيا : **(تخرج من باب البرج)** تعالى معى يا ليو .

ليو : **(تتبع لزبيا الى الخارج)** بالتأكيد .

(يتجه الأسقف الى زوجته ويجلس آخذا يدها يقبلها كعلامة على بدء حديث معها)

الأسقف : آليس : تلقيت خطابا آخر من السيدة

الغامضة التى لا تستطيع التهجى . أنا احب خطابات هذه المرأة . فهى تنم عن عاطفة فياضة تأسرنى .

الچنرال : **(يلتفت على غرة فقد كان يتطلع الى الحديقة)** هل تعنى أن النســاء يكتبن اليك خطابات غرامية ؟

الأسقف : بالطبع .

الچنرال : ولكنهن لا يكتبن لى أبدا .

الأسقف : الجيش لايستهوى النساء ، ولكن تستهويهن الكنيسة .

رچنالد : هل ترى من الصــواب السماح لهن بذلك ؟ قد يكن متزوجات .

الأسقف : بل هن دائما متزوجات . والمرأة التى أتحدث عنها الآن متزوجة . **(الى مسز بردچنورث)** ألا ترين أن خطاباتهــا هى أحسن الخطابات الغــرامية التى أتلقــاها ؟ **(الى الرجلين)** مسكينة آليس : أنها تقرأ على خطابات الغرام بصوت عال أثناء الفطور ، عند ما تكون هذه الخطابات جديرة بالقراءة .

مسز بردچنورث : الحق أن أمر هــذه المرأة أمر عجيب . فهى لا تذكر عنوانها أبدا ، وهذه علامة طيبة .

الچنرال : ألا تحدد موعدا للقاء ؟

الأسقف : بل هى تفعل . لقد بدأت خطاباتهــا بتحديد موعد غريب جدا ولو أنه طبيعى جدا . فهى

تريدنى أن اقابلها فى الآخرة . ارجو ان اتمكن من ذلك .

الچنرال : ارجو الا تتمكن من ذلك يا الفرد . ارجو الا تتمكن من ذلك .

مسز بردچنورث : هى تقول انها سعيدة فى زواجها ، وان الحب بالنسبة اليها ضرورة من ضروريات الحياة ، ولكن فوق كل عشاقها . . . .

الأسقف : وما أكثرهم فيما يبدو . . . .

مسز بردچنورث : . . . . فوق كل عشاقها لا بد ان يكون لها رجل عظيم لا يعرفها أبدا ، ولا يلمسها أبدا ، طالما هى على الأرض ، ولكنها تستطيع أن تلتقى به فى السماء عند ما تسمو فوق أدران الحب الدنيوى .

الأسقف : (**ينهض**) هذا رائع ! هذا حسن بالنسبة اليها . ولا خير فيه بالنسبة الى . لا بد أن تكون فى حياة كل شخص حالة كهذه من حالات التمسك بالمثل الأعلى ، شأن الشاعر الايطالى دانتى وحبيبته بياتريس . (**يشبك يديه خلف ظهره ويسير جيئة وذهابا من المدفاة واليها وهو يغنى**)

(**تظهر لزبيا عند باب البرج منزعجة**)

لزبيا : آليس : تعالى معى الى أعلى . ايدث لم ترتد ملابسها .

مسز بردچنورث : (**تنهض**) لم ترتد ملابسها ! هل تعرف كم الساعة الآن ؟

لزبيـا : لقد اغلقت عليهـا باب غرفتها وانهمكت فى القراءة .

(يكف الأسقف عن الغناء ، ويقف جامدا)

الچنرال : قراءة !

الأسقف : ماذا تقرأ ؟

لزبيـا : احدى النشرات التى وصلت ببريد السـاعة الحـادية عشرة . وهى لا تريد الخـروج . ولا تريد أن تفتح الباب . وتقول انها لاتعرف ما اذا كانت ستتزوج أم لا الا بعـد أن تتم قراءة النشرة . هل سمعت أبدا بشىء كهذا ؟ تعالى وتحدثى اليها .

مسز بردچنورث : ألفرد : من الأفضل أن تذهب اليها .

الأسقف : حاولى أن تستعينى عليها بكولنز .

لزبيـا : لقد حاول كولنز فعلا . وقد حصل منها على الاجابات التى ذكرتهـا الآن من خـلال ثقب الباب . تعالى يا آليس **(تختفى ، وتهرول مسز بردچنورث خلفها)**

الأسقف : هذا معناه التأخير . سأعود الى عملى **(ينتجه نحو باب المكتب)**

رچنالد : أى عمل هذا الذى تعمله الآن ؟

الأسقف : **(يقف)** أكتب فصلا آخر من فصول الكتاب الذى أؤلفه عن تاريخ الزواج .. وهو الفصل الذى يتعرض للزواج عند الرومان .

الچنرال : **(آتيا من باب الحديقة الى الكرسى الذى غادرته مسز بردچنورث حيث يجلس عليـه)** لعله

لا يتضمن مزيدا من الحديث عن الشعائر والطقوس يا ألفرد .

الأسقف : لا ، لا . أنا أعنى روما القديمة (**يجلس على طرف المائدة**) أكتب الآن عن الفترة التى كان فيها أفراد طبقة ذوى الأملاك يرفضون الزواج ومع ذلك يعيشون فى حالة زواج . وتمسكت أسر قليلة بتقاليد الزواج حتى يستمر تدفق العذارى العفيفات الشرعيات . ولكن ما من أحد آخر كان يحلم بالزواج . هذه مسألة طريفة جدا ، لأننا سنبلغ هذه المرحلة هنا فى انجلترا ، باستثناء واحد. فما دمنا لاحاجة لنا بأية عذارى عفيفات فلن يتزوج أحد أبدا، اللهم الا الفقراء .

الجنرال : ان البرود الذى تتحدث به عن هذا الأمر يثير الغيظ . رچنالد : هل تظن ان الأسقف فى كامل وعيه ؟

رچنالد : ليس أسوأ من عهدنا به .

الجنرال : (**الى الأسقف**) هل تريد أن تقول انك تعتقد أن شيئا كهذا سيحدث فى انجلترا ، فيتخلى الناس المحترمون عن الزواج .

الأسقف : سيفعلون ذلك فى انجلترا بنوع خاص . اما فى البلاد الأخرى فان سن قوانين معقولة للطلاق سينقذ الموقف . ولكننا فى انجلترا دائما ندع التقاليد والسنن تهلك نفسها حتى تتحطم . لقد أبلغت رؤساء وزارتنا الأربع

السابقين أنهم ما لم يجعلوا قوانين الزواج في بلادنا معقولة فسيضرب الناس عن الزواج، وسيبدأ الاضراب بين طبقة ذوى الأملاك ، وهى الطبقة التى لا تجرؤ الحكومة على التدخل فى شؤونها .

رچنالد : وماذا كان جوابهم ؟

الأسقف : الجواب المعتاد . لقد اتفقوا معى ، ولكنهم كانوا على يقين من أنهم وحدهم ذوو الرأى الصواب فى العالم ، وأن أقل اشارة الى اصلاح قوانين الزواج ستجعلهم يخسرون الانتخابات القادمة . ثم جاءت الإنتخابات وخسروها بالفعل . خسروها بسبب قوانين الخمر ، أو قوانين أجور العمال الصينيين فى جنوب افريقية ، أو أى سبب آخر من هذه الأسباب التافهة .

رچنالد : **(يسير متمايلا عبر المطبخ ناحية المدفأة ويداه فى جيبه)** لا فائدة . انهم لايصغون الى أمثالنا **(منقلبا عليهما)** بالطبع كان لزاما عليهم أن يجعلوا منك أسقفا ومن بوكسر چنرالا ما دام من ينتمون اليهم من حثالة المتغطرسين والسفلة وأصحاب الحوانيت الذين يكادون يموتون من الجوع ، لا يستطيعون أن يقوموا بالأعمال الحكومية . لا يستطيعون أن يعيشوا بدوننا ، ومع ذلك فماذا يفعلون من أجلنا ؟ أى اهتمام يبدونه بما نقوله أو بما نحتاج اليه ؟

ان أسرتنا ـ أسرة برد چنورث ـ هى على ما أعتقد خير مثال للأسرة الانجليزية ، من ذلك النوع الذى يضع الأمور فى نصابها ، ونتمسك بحقنا فى أن نفكر ونؤمن بما تمليه علينا ضمائرنا . أما اليوم فانهم ينتظرون منا أن نلبس ونأكل كما يلبس ويأكل من يقضون عطلة نهاية الأسبوع ، وأن نفكر ونؤمن كما يفعل أكلة لحوم البشر فى أواسط افريقية بعد أن تابوا عن أكل لحوم البشر ، وأن نجعل من أجسادنا ممرا لكل متغطرس وكل سافل وكل صحفى تافه . لا توجد اليوم فى انجلترا صحيفة واحدة تمثل ما أسميه أنا رأى أسرة بردچنورث وتقاليدها الراسخة الأصيلة . ان نصف هذه الصحف يقرأ كما لو كان قد نشر فى أقرب اجتماع للأمهات ، والنصف الآخر فى أقرب جراج سيارات . فهل تسمى هؤلاء الناس سادة مهذبين ؟ هل تسميهم انجليزا ؟ أما أنا فلا **(يلقى بنفسه مشمئزا فى أقرب كرسى)**

الجنرال : **(وقد تحمس بفصاحة رچنالد)** هل ترى بدلتى الرسمية ؟ هل تذكر ماقال عنهاكولنز؟ انها تجذب العين . هذا هو المقصود منها . اننى أرتديها عامدا حتى تكون بمثابة لكمة فى العين لكل من ينتمى الى الجيش الحديث . لابد أن يبدأ أحد فيكون القدوة . فليكن هذا

الأحد من أسرة بردچنورث . أنا أومن بدم الأسرة وتقاليدها .

الأسقف : (شاردا) اننى لأتساءل : من الذى سيبدا بالوقوف ضد الزواج . لابد أن يحدث ذلك يوما ما . لقد تزوجت أنا نفسى قبل أن أفكر فى ذلك . وحتى لو كنت قد فكرت فى هذا ، فما كان حبى الشديد لآليس ليسمح لشىء بأن يقف فى طريقه . ولكنكما تعلمان أننى رأيت بناتى - ايثل وچين وفانى وكرستينا وفلورنس - يخرجن من هذا الباب كل فى نقابها واحدة بعد أخرى الى بيت الزوجية ، ولطالما ساءلت نفسى ما اذا كن يغادرن هذا البيت فى هدوء لو أنهن علمن ما كن مقدمات عليه . نفسى تساورها هواجس مرعبة بشأن تلك النشرة التى تقرأها ايدث . ان كل تقدم معناه الحرب مع المجتمع . واننى لأسأل الله ألا تكون ايدث من بين المحاربين .

(يدخل سنت چون هوتشكس من باب البرج فى أعقاب كولنز . شاب أنيق جدا فى التاسعة والعشرين من عمره أو نحو ذلك . سليم الذوق من رأسه الى قدميه . الا أنه مشغول جدا بأفكاره بحيث لايقلقه الاهتمام بمظهره . يتحدث عن نفسه بمرح نشيط ، ويتحدث الى الناس فى صبر ينطوى على مراعاة الرأفة لغبائهم ، صبر

يثير غضب هؤلاء الذين لا يوفق فى ادخال السرور الى نفوسهم ، فهم اما أن يفقدوا أعصابهم معه واما أن يحاولوا عبثا أن يزجروه)

كولنز : **(معلنا)** مستر هوتشكس **(ينسحب)**

هوتشكس : **(يربت على ظهر رچنالد فى مرح وهو يمر به)** هيه ريچى .

رچنالد : **(باستياء دون أن يقف أو يدير رأسه)** صباح الخير .

هوتشكس : صباح الخير أيها الأسقف .

الأسقف : **(مبتعدا عن المائدة)** بالله ماذا تفعل هنا يا سنچون ؟ أنت من فريق العريس ، ولاعمل لك هنا الا بعد انتهاء الحفل . .

هوتشكس : نعم أعرف هذا . تماما . هل تسمح لى بأن أحدثك على انفراد ؟ لا يهم وجود رچى أو أى فرد من أفراد الأسرة ، ولكن . . . **(يرنو الى الچنرال الذى يكون قد نهض فى صلابة ، فهو لا يوافق أبدا على الدور الذى يقوم به هوتشكس فى شؤون رچنالد الخاصة)**

الأسقف : لا بأس يا سنچون . هذا أخونا ، چنرال بردچنورث **(يتجه نحو المدفأة حيث يقف ثابتا ويداه مشتبكتان خلف ظهره)**

هوتشكس : اوه ، لا بأس **(يلتفت الى الچنرال ويخرج بطاقته)** ما دمت فى خدمة الجيش فاسمح لى ان اقدم نفسى . اقرأ بطاقتى من فضلك

(يقدم بطاقته الى الچنرال الذى استولت عليه الدهشة)

الچنرال : **(يقـرأ)** مستر سنت چـون هوتشكس ، الجبـان المشهور ، الملازم السـابق بالوحدة ١٦٥ مشاة .

رچنالد : **(مقهقها)** لقد أعيد من جنوب افريقية لانه جبن عن أن ينفذ أمرا بالهجوم ، فأفسد بذلك خطة قائده .

الچنرال : **(فى منتهى الصرامة)** أذكر ذلك الحـادث . كنت قد نسيت الاسم . لن أرفض التعرف بك يا مستر هوتشـكس ، لسببين : الأول لأنك ضيف أخى ، والثانى لأن المعـارك التى شهدتها كانت من الكثرة بحيث جعلتنى أدرك أن أعصاب كل رجل تخونه فى وقت أو آخر ، وأنه يجب على بعض الرجال المحتـرمين الا يخوضوا المعارك أبدا ، لأنهم لم يجعلوا لذلك . ولـكننى لو كنت مكانك لما استعملت هـذه البطاقة على الاطلاق . لا شك فى أنها شهامة منك ألا تريد أن يقدم لك أحد يده وهو يجهل عارك . ولكن الأفضل أن تتيح لنا الفرصـة لننسى ذلك . فنحـن نريد أن ننسى . فهو ليس عارك وحدك ، بل عار على الجيش وعلينا جميعا . أرجو أن تغفر لى هذه الصراحة .

هوتشكس : يا چنرالى العزيز : لست ادرى ما هو المعنى العسكرى لكلمة الخوف . لقد اشـتركت فى

سبع مبارزات بالسيف فى ايطاليا والنمسا ، وواحدة بالطبنجة فى فرنسا دون أن تتحرك فى راسى شعرة . لم تكن لدى وسيلة أخرى أستطيع بها التعبير عن رفضى شن ذلك الهجوم . أنا لا أدعى الشجاعة . فأنا أخاف النحل . وأنا أخاف القطط . وبالرغم من صوت العقل فأنا أخاف العفاريت . وقد وليت هاربا عبر أوروبا مرتين خوفا من النذير الكاذب بوباء الكوليرا . ولكننى لا أخاف القتال

(يلتفت فى مرح الى رچنالد ويصفعه على كتفه)

ايه رچى ؟ **(رچى يئن)**

الچنرال : اذن فلم لم تقم بذلك الهجوم ؟

هوتشكس : قمت بواجبى ... واجبى الأسمى . لو أننى قمت بذلك الهجوم ، لنجحت خطة قائدى ولكوفىء على ذلك بترقيته . وأنا أرى الآن أن قادة الجيش البريطانى يجب أن يكونوا من بين من يستحقون لقب چنتلمان ، ومن بين هؤلاء وحدهم . أما هذا الرجل فلم يكن چنتلمانا . لقد ضحيت بمستقبلى فى الجيش ، واجهت العار وواجهت نبذى من المجتمع ، وفضلت هذا على أن أتيح لذلك الرجل فرصته .

الچنرال : **(وقد ثار سخطه)** قائدك هذا يا سيدى كان صديقى ميچور بيلليتر .

هوتشكس : نعم هو . يا له من اسم !

الچنرال : وبالله عليك يا سيدى كيف تجرؤ على الادعاء بأن ميچور بيلليتر ليس چنتلمانا ؟

هوتشكس : لسبب أكيد . واحد من تلك الأسباب التى تدمغ الرجل وتميزه . فهو يأكل مهلبية الأرز بالملعقة .

الچنرال : **(فى غضب شديد)** لعنة الله عليك . أنا آكل مهلبية الأرز بالملعقة . فما رأيك ؟

هوتشكس : وأنا أيضا آكلها بالملعقة فى معظم الأحيان . ولكن هناك طرقا لبقة لاتيان مثل هذه الأمور . أما طريقة بيلليتر فلا يمكن أن تخطئها العين .

الچنرال : اذن فسأقول لك الآن شيئا . عندما ظننت أنك جبان ، كنت أشفق عليك ، وما كنت لأتردد فى بذل كل ما فى وسعى لأعاونك على استرداد منزلتك فى المجتمع ...

هوتشكس : **(مقاطعا)** أشكرك ، ولكننى لم أفقد منزلتى فى المجتمع . فقد قدرت دوافعى حق التقدير . وعينت عضو شرف فى اثنين من أحسن نوادى لندن بعد أن اتضحت الحقيقة .

الچنرال : اذن فاعلم يا سيدى أن هذه النوادى لا تضم الا متقنزحين . وأنت نفسك متفطرس متقنزح مترنح .

الأسقف : **(مستمتعا بهذا الحوار رغم اعتراضه عليه)** عزيزى بوكسر !

هوتشكس : **(مسرورا)** لطيف منك أن تقول هذا ياچنرال . فأنت على حق . أنا متقنزح . ولم لا ؟ ان كل

قوة انجلترا تكمن فى حقيقة واحدة ، هى أن الغالبيـة العظـمى من الشعب الانجليـزى متقنزحة فهم يسـخرون من الفقـر . وهم يمقتون الوقاحة . وهم يحبون النبل . وهم يعجبون بالصفات المميزة . وهم لا يطيعون رجلا ارتفع من بين الصفوف . وهم لا يثقون أبدا برجل من طبقتهم . وأنا أتفق معهم . أنا أشاطرهم غرائزهم . قبل أن أتخرج فى الجامعة كنت جمهوريا ... كنت اشتراكيا . حاولت جديا أن أشـعر ازاء الرجل العـادى بمثـل ما أشعر به ازاء دوق فلم أستطع . وكذلك أنت ، لن تستطيع . فلماذا نشعر بالعار من هذا الطموح الى ما هو فوقنا ؟ تسألوننى لماذا لاأقول ان الرجل الأمين هو أنبل ماصنع الله ؟ لأننى لا أرى هذا الرأى . فاذا لم يكن هـذا الرجل چنتلمانا فأنا لا أبالى أكان أمينا أم لا ، ولن أدع ابنه يتزوج ابنتى . واليك البرهان ... البرهان على ما أقول . أنت تشعر بمثل ما أشعر به . أنت متقنزح فى الحقيقة . وأنا متقنزح ، ليس فى الحقيقة فحسب ، بل من حيث المبدأ كذلك . وسيذكرنى التـاريخ ، ليس كأول قنزوح ، بل كأول بطل للقنزحة الانجليزية ، وأول شهيد لها فى الجيش . ان البحرية تفخر بشهيدين من هذا الطراز هما الكابتن كيربى والكابتن ويد ، اللذان أعـدما

لرفضهما القتال تحت قيادة الأميرال بنبو الذى ارتقى الى هذا المنصب بعد ان كان خادما فى احدى السفن . ولطالما حسدت هذين الشهيدين على مانالا من مجد وشهرة.

الچنرال : بوصفى چنرالا بريطانيا يا سيدى ارى لزاما على أن أخبرك أنه اذا خالف أى ضابط تحت قيادتى قواعد المساواة المقدسة لمهنتنا بأن يضع ذرة واحدة من واجبه أو الخطر الذى يتعرض له على كاهل أصغر جندى ، أطلقت عليه النار بنفسى .

هوتشكس : ليست روح المساواة هى التى تدفعك الى هذا يا چنرال بل روح الرئاسة . اسأل الأسقف **(يجلس على حافة المائدة)**

الأسقف : لا أستطيع أن أؤيدك يا سنچون . مهنتى تضطرنى كذلك الى التنكر للقنزحة . لأننى أقوم بواجب ديمقراطى لكل طفل يؤتى به الى . على أن أخلع على كل طفل — دون تفرقة بين الطبقات — رتبة تتضاءل الى جانبها جميع الرتب العسكرية . ليس من حقى أن أميز بين الطبقات. انالأطفال جميعا جند وخدم ، وليسوا ضباطا وسادة .

هوتشكس : آه . . . أنت تشير الى التعميد . ولكن هذا ليس صحيحا بالمرة . اسمحا لى أن أقول انكما ستشعران بطمأنينة أكثر اذا أقررتما واعترفتما بمعتقداتكما الحقيقية . فأنتما

تعلمان حق العلم أن الأسقف ليس ندا للقس ، وأن الملازم ليس ندا للجنرال .

الأسقف : بل هما ندان . لقد كنت قسا انا نفسى .

الچنرال : وكنت أنا ملازما .

رچنالد : وأنا لم أكن شيئا . ولكننا جميعا سواسية ، أليس كذلك ؟ فلعلكم اذن بعد أن تنتهوا من الحديث عن أنفسكم تعودون بنا الى المهمة التى جاء سنچون من أجلها .

هوتشكس : **(ينهض من على المائدة بسرعة)** أوه . . نعم يا عزيزى . ألف معذرة . جئت من أجل الزفاف .

الچنرال : وماذا عن الزفاف ؟

هوتشكس : العريس لا يبالى بالزفاف . فقد اغلق سسيل على نفسه باب غرفته . وهو يأبى أن يرى أحدا أو يتحدث الى أحد . ذهبت الى غرفته وطرقت الباب وقلت له اننى سأنظر من خلال ثقب المفتاح اذا لم يرد على . ونظرت من خلال ثقب المفتاح فاذا به جالس على السرير يقرأ كتابا **(يقف رچنالد فى فزع بينما يقبع الچنرال فى مكانه)** وبالطبع قلت له لا تكن جحشا ، الى آخر ذلك . فقال انه لن يبرح مكانه حتى يتم قراءة الكتاب . وسألته عما اذا كان يعرف كم الساعة ، وعما اذا كان يتذكر أن لديه موعدا على شىء من الأهمية ليتزوج ايدث ، فكان

جوابه اننى كلما عجلت بالكف عن مقاطعته ، عجل هو بالاستعداد ، ثم وضع اصبعيه فى أذنيه ، واتكأ على مرفقيه وانكب على ذلك الكتاب اللعين . ولم أستطع أن أحظى منه بكلمة أخرى ، ولذا رأيت أن آتى اليكم لأنذركم .

رچنالد : هذه نكتة . لقد دبرا الأمر فيما بينهما .

الأسقف : لا . ايدث ليست لديها روح الفكاهة . ثم اننى لم أر أبدا رجلا يميل الى الفكاهة والهزل صبيحة يوم زفافه .

(يظهر كولنز عند باب البرج وهو يقدم العريس ، وهو جنتلمان شاب جميل الطلعة من النوع الجاد ، يتعبه ضمير مدقق ، وهو الآن شارد الذهن بسبب مشاكل لا حل لها تتصل بالسلوك والأخلاق)

كولنز : مستر سسيل سايكس **(ينسحب)**

هوتشكس : اسمع يا سسيل . هذا كله خطأ . لا عمل لك هنا الا بعد أن يتم الزفاف . هذا كلام فارغ . أنت العريس .

سايكس : **(متقدما نحو الأسقف متحدثا اليه فى يأس مرير)** جئت الى هنا لأقول اننى عندما خطبت ايدث كنت أجهل كل الجهل ما أنا مقدم عليه من الناحية القانونية . أما الآن وقد أعطيت كلمتى فلن أرجع عنها . أنا الآن تحت رحمتك . زوجنى ان أصررت . ولكن

لابد ان تعلم أننى احتج **(يجلس شارد الذهن على الكرسى ذى القضبان الخشبية)**

الجنرال : بحق الشيطان ماذا تعنى بهذا ؟ ماذا . . . **(معا وهما مهتاجان)**

رجنالد : لعنة الله على وقاحتك . ماذا تعنى . . .

هوتشكس : اهدأ يا رجى . اهدأ . صبرا . صبرا . **(معا)**

الأسقف : كلا يا رجى . أرجوك . تمالك نفسك يا بوكسر . أرجوك .

(يستكين رجنالد فى كرسيه . ويجلس هوتشكس على يمينه يهدئه)

الجنرال : لا أستطيع أن أتمالك نفسى . لقد تمالكت نفسى طوال النصف الساعة الماضية حتى أكاد أنفجر .

(يجلس فى ثورة عند طرف المائدة بجوار المكتب)

سايكس : **(مشيرا الى رجنالد الغاضب والجنرال الثائر)** هذه هى المشكلة أيها الأسقف . ايدث تشبه أعمامها . فهى لا تستطيع أن تتمالك نفسها أكثر منهم . وهى ابنة أسقف . وهذا معناه أنها مرتبطة بأعمال اجتماعية مختلفة : تنظيم عمال المحال التجارية ، ومساعدة الفتيات العاملات ، الى غير ذلك . وعندما يفور دمها ـ وهو يفور مرة فى

الأسبوع على الأقل - فهى لاتبالى بما تقول .

رجنالد : ولكنك كنت تعرف هذا عندما خطبتها .

سايكس : نعم ، ولـكننى لم أكن أعرف اننى سـاكون مسئولا قانونيا اذا هى سبت احدا ، مع ان جميع أملاكها محصنة ضـدى كما لو كنت أحط لص ومتسول فى الوجود . لقـد بعث الى شخص ما صباح اليوم بمقالات « بلفورت باكس » عن أخطاء الرجال . ولقـد فتحت هذه المقالات عينى تماما . أنا لا أفكر فى نفسى ، فأنا أواجه أى شىء من أجـل ايدث . ولكن أمى وأخواتى يعتمدن كل الاعتماد على أملاكى . واننى لأفضل بتر قطعة من ذراعى الأيمن على أن ينقص دخل أمى مائة جنيه فى العام . فأنا مدين لها بكل شىء لعنايتها بى .

(تدخل ايدث من باب البرج مرتدية جاكتة منزلية(١) وقميصا ، فى سرعة وتصميم ، فى يدها نشرة ، شاهرة سلاح مبادئهـا ، تستحق لقب أسقف أكثر من أبيها ، ومع ذلك فهى نبيلة كأمها . انها نموذج لطفلة مدللة نشأت فى بيت قسيس ، هى نتاج فظيع أشبه بالطفلة المدللة التى تنشـأ فى بيت بوهيمى ، بمعنى أن جميع تصرفاتها

---

(١) جاكتة منزلية هى الترجمة التى اخترناها لـ *Dressing Jacket* وهى جاكتة كانت تقوم مقام الروب فى ذلك الحين (المحرر) .

الصبيانية المصطنعة الصادرة عن وسوسة الضمير والنزعة الدينيـة ، كانت تقـابل بالاستحسـان والاذعان حتى أصبحت فنزوحة فى دعوتها الى التمسك بمبادىء الأخلاق . وكان من شأن روح الفكاهةعند أبيها ، والتوازن الوديع عند أمها ، أن أنقذا انسانيتها . الا أن مزاجها المتهور وارادتها القوية ، اللذين لا تحـدهما ذرة من روح المداعبة أو التشاؤم ، يكتسحان أمامهمـا كل شىء . تدخل فى اسـتعلاء ورسـوخ عقيدة فتسيطر على الموقف فى الحال)

ايدث : **(واقفة خلف الكرسى الذى يجلس عليه سسيل)** سسيل : لقد سمعت صوتك . لابد أن أتحدث اليك حديثا خاصا . بابا : اذهب . اذهبوا كلـكم .

الأسقف : **(متجها نحو باب المكتب)** لاشـك أن ايدث تريدنا أن ننسحب . هيـا بنا . **(يقف فى الباب ، منتظرا منهم أن يتبعوه)**

سايكس : هل رأيتم ؟ هذه هى الصراحة التى تجعـل موقفى صعبا ، بقدر ما تجعلنى أعجب بها .

ايدث : هل تريدنى أن أجامل والا أقول الحق ؟

سايكس : لا . ليس تماما .

ايدث : هل يريدنى أحد أن أجامل والا أقول الحق ؟

هوتشكس : ما دمت قد سـألتنى فالجواب نعم . فمن

المؤكد أن هذا هو أول شرط لازم للمقابلات الاجتماعية التى يمكن احتمالها .

الچنرال : أرجو أن تقولى لى الحق دائما يا عزيزتى فى جميع الأحوال .

ايدث : **(تتجه نحو المدفأة ملاطفة)** تستطيع أن تعتمد على فى ذلك يا عمى بوكسر .

هوتشكس : هل أنت متأكدة أن لديك فكرة صحيحة عن حقيقة الرجل العسكرى ؟

رچنالد : **(فى روح عدائية)** هل لى أن أسأل عن حقيقتك ؟

هوتشكس : أوه ... ذلك أمر لا يصلح أبدا للنشر ، واذا بدأت مس بردچنورث فى الحديث عن ذلك فسأكون مضطرا الى ترك الغرفة .

رچنالد : هذا لا يدهشنى أبدا **(ينهض)** ولكن ما دخل ذلك فى المسألة التى نبحثها هنا اليوم ؟ هل أنت الذى ستتزوج أم ايدث ؟

هوتشكس : آسف . أنا أهتم بنفسى الى حد أننى أقحم الحديث عنها فى مقدمة كل مناقشة بطريقة لا تحتمل **(يتجه رچنالد نحو باب المكتب عبر المطبخ وعلى وجهه تعبير الاشمئزاز)** ولكن هل أنت واثق يا عزيزى رچى أن مس بردچنورث ستتزوج ؟ هل ستتزوجين يامس بردچنورث ؟

(قبل أن تجد ايدث وقتا للاجابة ، تعود أمها مع ليو ولزبيا)

ليو : نعم ، هى هنا بالطبع . قلت لكما اننى سمعتها تهرول وهى تنزل السلم .

(تشير الى طرف المائدة بجوار المدفاة)

مسز بردچنورث : **(وقد تسمرت فى وسط المطبخ)** وسسيل !

لزبيا : وسنچون !

الأسقف : ايدث تريد أن تتحدث الى سسيل **(مسز بردچنورث تسير نحوه ، بينما تذهب لزبيا الى الحديقة)** فلنذهب الى مكتبى .

ليو : ولكن لابد أن تأتى لترتدى ملابسها . كم الساعة الآن ؟

مسز بردچنورث : تعالى يا عزيزتى ليو **(تتبعها ليو مترددة . توشكان أن تدخلا الى المكتب مع الأسقف)**

هوتشكس : هل تعلمين يا مسز بردچنورث أننى أتوق الى سماع ما تريدين أن تقوليه للمسكين سسيل ؟

رچنالد : **(مستكبرا)** سسيل !

ايدث : من هو المسكين سسيل ؟

هوتشكس : هكذا يقال للرجل صبيحة يوم زفافه ، لاأدرى لماذا . أنا صديقه المفضل كما تعلمين . أفلا ترين أن ذلك يخولنى حق الحضور لأن ذلك فى صالح سسيل ؟

الچنرال : **(عابسا جادا)** يوجد شىء اسمه الذوق يا مستر هوتشكس .

هوتشكس : يوجد شىء اسمه الفضول يا چنرال .

الچنرال : **(ثائرا)** الذوق لا وجود له هنا يا ألفرد .

ايدث : الأفضل أن تأخذى سايكس الى المكتب .

(تنقسم الجماعة التى تقف عند باب المكتب . يرتمى الچنرال على الكرسى الأخير عند الجانب الطويل من المائدة بالقرب من باب الحديقة . تجلس ليو عند الطرف بجواره ، ومسز بردچنورث بجوار ليو . يعود رچنالد الى البوريه ليكون قريبا من ليو . بينما يتجه الأسقف الى زوجته ويقف بجانبها)

هوتشكس : **(الى ايدث)** سأنصرف بالطبع ان أردت . ولكن معارضة سسيل فى المضى فى هذا الأمر تستند الى أسباب عامة بحيث . . .

ايدث : **(فى ارتياب سريع)** معارضته ؟

سايكس : سنچون : لا حق لك فى أن تقول هذا . لقد قلت بوضوح اننى على استعداد للمضى فيه .

ايدث : سسيل : هل تريد أن تقول انك كنت تقيم الصعاب فى طريق زواجنا ؟

سايكس : أنا لا أقيم أية صعاب . ولكننى أرجوك أن تكونى حريصة فى حديثك عن الناس . يجب أن تتذكرى ياعزيزتى أننى سأصبح عند زواجنا مسئولا عن كل ما تقولين . فى الأسبوع الماضى وقفت على منصة عامة وقلت ان « سلاتوكس » و « تشينرى » وغدان . ولو كنا زوجين عندئذ لاستطاع كل منهما أن يحصل منى على ألف جنيه كتعويض .

ايدث : **(فى خشونة)** انا لم اقل شيئا من هذا القبيل .. أنا لا أسب لمجرد الرغبة فى السباب ، والا فماذا تقول البنات عنى ؟ لقد اخترت كلماتى بعناية تامة . قلت انهما طاغيتان ، كذابان ، لصان . وهما كذلك . بل ان سلاتوكس أوقح من هذا .

هوتشكس : أخشى الا يقل التعويض فى هذه الحالة عن خمسة آلاف جنيه .

سايكس : لو كان الأمر يخصنى وحدى لما باليت بالأمر . ولكن هناك امى واخواتى . لا حق لى فى التضحية بهن .

ايدث : لا تنزعج . انا لن أتزوج .

الجميع : لا !

سايكس : **(فى فزع)** ايدث ! هل تنبذيننى ؟

ايدث : كيف أنبذك ؟ لقد نبذتنى أنت من قبل .

سايكس : بشرفى ابدا . كل ما قلته هو أننى لم أكن ملما بالقانون عندما طلبت منك أن تكونى زوجتى .

ايدث : وانك لم تكن لتطلب منى ذلك لو كنت ملما بالقانون . أليس كذلك ؟

سايكس : كلا . بل كنت أطلب منك أن تكونى أشد حذرا من أجل خاطرى ، حتى لا تقضى على عبثا .

ايدث : هل ترى أن الحق عبث ؟

هوتشكس : بل أسوأ بكثير من العبث ، أؤكد لك . وكثيرا ما يكون ضارا .

ايدث : سنچون : امسك لسانك. أنت ثرثار احمق.

مسز بردچنورث : } **مصدومين** { ايدث !

الأسقف : عزيزتى !

هوتشكس : **(فى لطف)** لن أتخذ أى اجراء يا سسيل .

ايدث : **(الى هوتشكس)** متأسفة . ولكنك من كبر السن بحيث ينبغى أن تكون أحسن من ذلك **(الى الآخرين)** والآن ، ما دام هذا الزواج لن يتم ، فلنعد الى عملنا . ماما : أرجو ان تطلبى من كولنز أن يقطع كعكة الزواج ٣٣ قطعة لتوزع على فتيات النادى . فان عدم زواجى ليس سببا لنخيب أملهن **(تستدير لتخرج)**

هوتشكس : **(بشهامة)** ان سمحت لى أن أحل محل سسيل يا آنسة بردچنورث ...

ليو : سنچون !

هوتشكس : أوه ، نسيت . أرجو عفوك **(معتذرا لاديث)** خطوبة سابقة !

ايدث : ماذا ! أنت وليو ! ظننت هذا . اذن أليس من الأفضل أن تتزوجا فى الحال ؟ أنا لا أحبذ الخطوبة الطويلة . الفطور جاهز ، والكعكة جاهزة ، وكل شىء جاهز . وسأعير ليو النقاب وسائر اللوازم .

الأسقف : لابد أن ينتظرا الى أن يصدر حكم بالطلاق يا عزيزتى . والرخصة غير قابلة للتحويل .

ايدث : اذن فلا حيلة لنا فى الأمر . هل هناك شيء آخر قبل أن أذهب الى النادى ؟

سايكس : لا يبدو عليك كثير من خيبة الأمل يا ايدث . لا أتمالك نفسى عن قول هذا .

ايدث : وأنت لا تتمالك نفسك عن الظهور بمظهر الارتياح البالغ ياسسيل . لن يكون لذلك أثر فى صداقتنا ، أليس كذلك ؟

سايكس : **(شاردا)** بالطبع لا . ولكننى ما زلت ... أنا مستعد تماما ... على الأقل ... لولا أمى ... أوه ، لا أدرى ماذا أفعل . أنا أحبك . وعند ما تنتهى متاعب الزفاف ، فلا بد أن أحبك من جديد ...

ايدث : **(تدلله)** لا . لا . لا داعى لهذا يا عزيزى . أنت على حق . لا أظن أنه ينبغى لامرأة تقوم بأعمال عامة أن تتزوج ، الا اذا كان زوجها يشاطرها نفس الشعور . أنا لا ألومك أبدا على نبذى .

رجنالد : **(يقفز من فوق البوريه ، يمر خلف الچنرال الى الطرف الآخر من المائدة)** لا . هذا كلام فارغ . لن أسكت على هذا . لماذا يكون الرجل هو المخطيء دائما ؟ كونى صادقة يا ايدث . لماذا لم ترتدى ملابسك ؟ هل كنت تنوين نبذه ؟ ان كان الأمر كذلك فلابد أن تأخذى نصيبك العادل من اللوم ، ولا تلقى اللوم كله عليه .

هوتشكس : **(فى عذوبة)** ألا يكون من الأفضل أن ....

رچنالد **(فى عنف)** اسمع يا هوتشكس . من الذى طلب منك التدخل ؟ هل اسمك ايدث ؟ هل أنا عمك ؟

هوتشكس : أتمنى لو كنت عمى . أحب أن يكون لى عم يا رچنالد .

رچنالد : ياه ! سايكس : هل أنت على استعداد لتتزوج ايدث أم لا ؟

سايكس : قلت بالفعل اننى على أتم استعداد . الوعد وعد .

رچنالد : لا نريد أن نعرف ما اذا كان الوعد وعدا أم لا . ألا تستطيع أن تجيب بنعم أو لا دون أن تفسد الأمر وتجعل هوتشكس يقف هنا مستهزئا ؟ اذا هى وضعت نقابها وذهبت الى الكنيسة ، هل تتزوجها ؟

سايكس : بكل تأكيد .

رچنالد : والآن يا ايدى ، ضعى نقابك واذهبى الى الكنيسة ، العريس ينتظر **(يجلس الى المائدة)**

ايدث : هل من المفهوم أن سلاتوكس وتشينرى كذابان ولصان ، وأننى أرجو أن يكون فى يدى يوم الأربعاء القادم دليل حاسم على أن سلاتوكس أسوأ من ذلك ؟

سايكس : أنا لم أشترط أى شرط فى هذا الشأن عندما خطبتك . والآن لا أستطيع أن أتراجع .

كان الله فى عون امى . مرة اخرى اقول اننى على استعداد للزواج منك .

ايدث : اذن فاعلم اننى أرى أنك تبدو ذا شخصية ضعيفة جدا . وبدلا من أن أستغل ذلك سأضرب لك مثلا أحسن . أريد أن أعرف هل هذا صحيح ؟ **(تخرج نشرة وتقدمها الى الأسقف ، ثم تجلس بين هوتشكس وأمها) .**

الأسقف : **(يقرأ العنوان)** « هل تعرفين ما أنت مقدمة عليه ؟ بقلم امرأة أقدمت فعلا » . هل لى أن أسأل ياعزيزتى : ما هذا الذى أقدمت عليه ؟

ايدث : تزوجت . عندما أصبح لها ثلاثة أولاد ـ وكان أكبرهم فى الرابعة من عمره ـ ارتكب زوجها جريمة قتل ، ثم حاول الانتحار ، ولكنه لم يفلح الا فى تشويه جسمه . وبدلا من أن تصدر المحكمة حكمها بشنقه ، حكمت عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة رأفة بزوجته وأطفاله . ولم تستطع الزوجة أن تحصل على الطلاق من هذا المجرم الأثيم . بل انه لم يبق فى السجن طول حياته . ظلت تعيش بغير زوج عشرين عاما ، تربى أولادها من عملها ، وهى تعلم أنه بمجرد أن يكبروا ويبدأوا حياتهم العملية ، يكون ذلك المخلوق الشرير قد خرج من السجن ليصمهم جميعا بالعار ، وليحول دون زواج البنتين من رجلين

مهذبين ، وربما يضطر الابن الى مغادرة الديار ، هل هذا هو القانون حقا ؟ هل أفهم من ذلك انه اذا ارتكب سيل جريمة قتل أو تزوير أو سرقة ، أو اذا أصبح ملحدا ، لا أستطيع أن أطلق منه ؟

الأسقف : نعم يا عزيزتى . هذا هو القانون . لابد ان تقبليه بخيره وشره .

ايدث : اذن فأنا أرفض رفضا باتا ان أكون طرفا فى أى عقد خبيث كهذا . أى نوع من الخدم ، وأى نوع من الأصدقاء ، وأى نوع من رؤساء الوزارات يكون لدينا لو قبلناهم بخيرهم وشرهم طول حياتهم ؟ اننا بذلك نشجعهم على ارتكاب كل أنواع الموبقات . لا شك فى أن سلوك زوجى أهم لدى من سلوك مستر بلفور أو مستر أسكويث . لو كنت اعرف القانون لما وافقت على الخطوبة ، ولا أعتقد أن أية امرأة تقبل لو عرفت ما هى مقدمة عليه .

سايكس : ولكننى لن أرتكب جريمة قتل .

ايدث : أنى لك أن تعرف ؟ كنت أشعر فى بعض الأحيان بالرغبة فى قتل سلاتوكس . أما شعرت أبدا بالرغبة فى قتل أحد ياعمى رجى ؟

رجنالد : (ناظرا الى هوتشكس فى تعبير قوى) نعم .

لبو : رجى !

رجنالد : قلت نعم . واعنى نعم . فى احدى الليالى

كدت أطلق عليك النار يا هوتشكس أنت وليو ، ثم على نفسى . هذه هى الحقيقة .

ليو : **(تنشج بالبكاء فجأة)** أوه رچى ! **(تجرى اليه وتقبله)**

رچنالد : **(غاضبا)** ابعدى **(تعود باكية الى مقعدها)**

مسز بردچنورث : **(تدلل ليو بينما توجه الحديث للجميع)** ولكن أليس كل هذا عبثا ؟ هل هناك أى احتمال لأن يرتكب أى واحد منا جريمة ؟

هوتشكس : أوه نعم ، أؤكد لك. لقد تحريت هذه المسألة مرة بأشد اعتناء ، فتبينت أن الأعمال التى قمت بها بالفعل ــ وهى الأعمال التى يقوم بها كل فرد على ما أتصور ــ تؤهلنى ــ اذا انكشف أمرى وحوكمت ــ للسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة ، وسنتين من الأشغال الشاقة ، وفقدان جميع حقوقى المدنية . هذا مع اننى لم أدخل فى الحساب أننى حارس قضائى ، وأننى حارس مخادع شأن جميع الحراس القضائيين ، والا لكانت الأرملة التى عينت حارسا على أملاكها تجوع من وقت لآخر ، ولما نال أولادها أى قسط من التعليم . ولعلنى لا أقل أمانة عن أى واحد هنا .

الچنرال : **(ثائرا)** هل تريد أن تقول اننى سلكت مسلكا يعرضنى للحبس والأشغال الشاقة ؟

هوتشكس : هذا محتمل جدا . ولكننى لا اعلم بطبيعة الحال .

مسز بردچنورث : ولكن الزواج ليس مسألة قانونية . الايشعر كل واحد منكم بالحب نحو الآخر ؟ فى هذا الكفاية بكل تأكيد .

هوتشكس : اذا كان فى هذا الكفاية فلماذا نتزوج ؟

مسز بردچنورث : هذا هراء يا سنچون ! بالطبع لا بد للناس أن تتزوج (فى عدم ارتيـاح) ألفرد : لماذا لا تقول شيئا ؟ لن تدعهم يستمرون على هذه الحال ؟

الچنرال : كنت أنتظر طوال العشرين دقيقة الماضية فى دهشة يا ألفرد ، فى ذهول ، متوقعا منك أن تضع حدا لهذا . اننا نتطلع اليك : فهذا مكانك ، وهذا مكتبك ، وهذا واجبك . عليك أن تمارس سلطتك على الفور .

الأسقف : لا بد أن تكون عادلا مع الشيطان يا بوكسر . فلا حق لك فى أن تلعنه الا بعد أن تسمعه وتفحص حججه . يؤسفنى أنك انتظرت عشرين دقيقة . ولكننى انتظرت عشرين عاما لكى يحدث هذا . ولطالما قاومت اغراء يدفعنى للدعاء كيلا يحدث هذا فى بيتى . لعل هاجسا أوحى الى بأن حل هذه المشكلة قد يغدو جزءا من العبء القديم الذى تتحمله أسرة بردچنورث . ولعل هذا الهاجس هو الذى دفعنى الى تحذير حكومتنا

تحذيرا جديا من أن قانون الزواج لن تكون له قدسية بالمرة ما لم يكن قانونا انسانيا قبل كل شيء .

مسز بردچنورث : أوه ، فلتقل كلاما معقولا فى هذا الصدد . لا بد للناس أن تتزوج . ترى ما عساك كنت تقول لو أن والدى سسيل لم يكونا متزوجين ؟

الأسقف : وهما لم يكونا متزوجين يا عزيزتى .

هوتشكس : أهلا أهلا !
رچنالد : ماذا تعنى ؟
الچنرال : ايه ؟ (معا)
ليو : لم يكونا متزوجين ؟
مسز بردچنورث : ماذا تقول ؟

سايكس : (يقف فى دهشة) بالله ماذا تقول أيها الأسقف ؟ كان والداى متزوجين .

هوتشكس : أنت لا تستطيع أن تتذكر يا سسيل .

سايكس : بالطبع لم أسأل أمى أبدا أن تطلعنى على عقد زواجها ، اذا كان هذا هو ما تعنى . وأى رجل فعل هذا ؟ لم أشك أبدا ... لم أكن أعرف أبدا ... هل تمزح ؟ أم هل أصابنا جميعا مس من الجنون ؟

الأسقف : لا تنذعر يا سسيل . دعنى أشرح لك جلية الأمر . لم يكن والداك من الطائفة الأنجليكانية . بل انك لم تكن أنجليكانيا ، على ما أظن ، الا بعد أن قضيت عامك الثانى فى أكسفورد . كان والداك من اليقينيين . وقد أديا طقوس

هذه الطائفة بعد ان وقعا على عقد الزواج المدنى امام المسجل . وانا أسألك الآن ، بوصفك أنجليكانيا كاثوليكيا ، هل كان ذلك زواجا ؟

سايكس : **(مأخوذا)** لا والله أبدا . لا والف مرة لا . لم يخطر ذلك ببالى أبدا ! اذن فأنا ابن الخطيئة ! **(يرتمى فى الكرسى ذى القضبان)**

الأسقف : اهدأ . أنت لست ابن الخطيئة أكثر من اى يهودى ، أو مسلم ، أو أى واحد من المنشقين على الكنيسة ، أو أى شخص آخر يولد خارج الكنيسة . ولكنك ترى ما لذلك من اثر فى رأيى فى الموقف . فبالنسبة لى لايوجد الا زواج واحد مقدس : هو الزواج الذى تباركه الكنيسة . أما فيما عدا هذا فلا فرق لدى بين زواج مدنى وآخر . لقد جاء وقت كانت فيه كل الزيجات تعقد فى السماء . ولكن الكنيسة لم تكن على شىء من الحكمة . ولم تجعل شريعتها قائمة على أساس من العقل ، فانتزعت منها سلطتها على الرجال والنساء . وحلت محل الزواج فى الكنيسة عقود تتم فى مكاتب الزواج المدنى . أما الآن ، وحكومتنا ترفض أن تجعل هذه العقود معقولة ، فان هؤلاء الذين أبعدناهم عن الكنيسة بقصر نظرنا ، سيبتعدون عن مكتب الزواج ، وسيحدث لنا ما حدث لروما

القديمة . سيكون المحامى عونا لنا فى ابرام عقود لمدة سبع سنوات او ١٤ او ٢١ . وقد تكون عقودا لمدة اشهر معدودة . وستحل صكوك الشركة الزوجية محل القسم القديم بالتعاهد على الزواج .

الچنرال : وهل توافق انت ، وانت اسقف ، على شركة كهذه ؟

الأسقف : وهل تظن انني ، وانا اسقف ، اوافق على القانون الذى يبيح زواج رجل من اخت زوجته المتوفاة ؟ ولكن معارضتى لم تحل دون صدور هذا القانون .

الچنرال : ولكن عند ما جست الحكومة نبضك لترى ما اذا كنت توافق على تزويج الزوج من اخت زوجته المتوفاة ، كان من الطبيعى ومن الصواب أن تقول لهم انك ستراهم وقد حلت بهم اللعنة أولا .

الأسقف : **(مستنكرا)** أوه ، لا ، لا يا بوكسر ! يجب ألا . . . .

الچنرال : **(وقد نفد صبره)** لا أعنى بالطبع انك استعملت هذه الألفاظ . ولكن هذا معناها وهذه روحها .

الأسقف : ولا روحها يا بوكسر . انا أحتج . ولكن دعنا من هذا . المهم هو أن الزواج المدنى منفصل بالفعل عن زواج الكنيسة . ان العلاقة بين ليو وريچى وسنچون علاقة شرعية تماما ،

ولكن هل تنتظر منى ، كأسقف ، ان اوافق على هذه العلاقة ؟

الچنرال : انا لا أدافع عن رچنالد . كان ينبغى ان يطردك من البيت يا مستر هوتشكس .

رچنالد : (ناهضا) وكيف أستطيع أن أطرده من البيت . انه أقوى منى ، وفى استطاعته أن يطردنى هو من البيت اذا بلغ الأمر هذا الحد. بل هو قد طردنى بالفعل . والا فماذا تسمى انتزاعه محبة زوجتى منى ووضع نفسه فى موضعى ؟ (يسير نحو المدفأة)

هوتشكس : أنا أحتج يا رچنالد . لقد قلت كل مايستطيع رجل أن يقوله ليحول دون تحطيم زواجكما.

رچنالد : أوه ، أعلم أنك فعلت . أنا لا ألومك . الناس لا يفعل أحدهم ذلك للآخر . هذه الأمور تحدث ولا قبل للناس بها . وماذا كان على أن أفعل ؟ كنت عجوزا ، وكانت شابة . كنت غبيا وكانت ذكية . كنت قبيح الوجه ، وكان لها وجه جميل . كان سرورى بوجوده فى البيت بمقدار سرورها. وكان يدخل البهجة الى نفسى . وكنا أحمقين : فكان يزودنا بالنصيحة السديدة. كان يقول لنا ماذا نفعل عند ما كنا لا نعرف ماذا نفعل . تبينت أننى لست بذى فائدة لها ، وبأنه ذو فائدة لها ، فاختطفته وهجرتنى .

ليو : اذا أنت لم تكف عن التحدث بهذه الطريقة

المشينة عن حياتنا الزوجية ، تركت الغرفة، ولن أتحدث اليك بعدها ابدا .

رچنالد : انت لن تتحدثى الى ابدا على اية حال ، اليس كذلك ؟ هل تظنين اننى سأقوم بزيارتك عندما تتزوجينه ؟

هوتشكس : آمل ذلك . لن تكون حقودا يا رچى . ثم انه ستكون لك كل المزايا التى كنت اتمتع بها من قبل . ستكون أنت الزائر ، مبعث الارتياح ، الوجه الجديد ، مصدر الأنباء الجديدة ، ستكون أنت محط الأمل الفاشل . وسأكون أنا الزوج فحسب .

رچنالد : **(فى وحشية)** هل لكم جميعا أن تفسروا لى لماذا يدور الحديث دائما حول هوتشكس عندما يكون حديثنا منصبا على ايدث ؟ **(يسير فى المطبخ هائجا ناحية باب البرج ثم يعود الى كرسيه)**

مسز بردچنورث : هل يخبرنى أحدكم كيف يسير الكون اذا لم يتزوج الناس ؟

سايكس : هل يخبرنى أحدكم أى رجل شريف وأنجليكانى صادق يخطب امرأة يحبها وتحبه ولا تريد الزواج منه ؟

ليو : هل يخبرنى أحد كيف أرعى رچى عند ما أتزوج سنچون ؟ يجب ألا يسمح لرچى بأن يتزوج امرأة أخرى، وخصوصا تلك المخلوقة

الكريهة الخبيثة التى افضت للمحكمة بكل هذه الأكاذيب القذرة عنه .

هوتشكس : فلنقم بصياغة اول عقد انجليزى للشركة الزوجية .

ليو : يا للعار يا سنچون !

الأسقف : لابد أن يبدأ احد يا عزيزتى . اننى لشديد الارتياب فى أن هذا العقد عندما تتم صياغته سيكون أسوأ من قانون الزواج الحالى بحيث أنكم جميعا ستفضلون الزواج . وعندئذ نكون قد أدينا أكبر خدمة ممكنة للأخلاق عن طريق مجرد محاولة تجربة تنفيذ النظام الجديد .

لزبيا : **(تذكرهم فجأة بحضورها المنسى اذ تقف تفكر وهى فى باب الحديقة)** كنت أفكر .

الأسقف : **(الى هوتشكس)** ليس أفضل من حملك الناس على التفكير . أليس كذلك ياسنچون ؟

لزبيا : **(آتية نحو المائدة الى يسار الچنرال)** لا حق للمرأة فى أن ترفض الأمومة . هذا واضح بعد تلك الاحصائيات التى نشرتها صحيفة التايمز لسدنى ويب .

الچنرال : مستر ويب لاعلاقة له بذلك . انه نداء الطبيعة .

لزبيا : ولكن اذا كانت هذه السيدة انجليزية ، فان من حقها ومن واجبها أن تطالب بشروط مشرفة . اذا استطعنا أن نتفق على الشروط ، فاننى راغبة فى عقد حلف مع بوكسر .

(يترنح الچنرال لحظـة على قدميـه ، منهولا دون كلام)

ايدث : **(تقف)** وأنا مع سسيل .

ليـو : **(تقف)** وأنا مع رچى وسنت چون .

الچنرال : **(مشدوها)** حلف! هل تعنين ا . . ا . . ا . .

رچنالد : انها لا تقصد سوى تعدد الأزواج والزوجات . . هذا ما أفهمه .

الچنرال : ألفرد : الى متى تقف هنـاك وتواجه هـذا الجنون؟ أهو حلم مزعج أم أنا متيقظ ؟ باسم الذوق والعقل فلنعد الى الحياة الواقعية . .

(يدخل كولنز من باب البرج فى عباءة نائب العمدة . السيدات اللواتى كن واقفات يجلسـن بسرعة ويبـدو كأن الحـديث لم يكن يعنيهن)

كولنز : يؤسفنى أن أتعجلك ياسيدى، ولكن الكنيسة امتلأت منذ ساعة . وقد أدى عازف الأرغن جميع مقطوعات الزواج الموسيقية ثلاث مرات .

الچنرال : هذا هو الرجل الذى نريده . ألفرد : أنا لست نداً لهـذه الأزمة . وأنت لست نداً لهـا . أخفق الجيش . أخفقت الكنيسة . سأنحى جانبـا جميع الفوارق الاجتماعيـة التافهة وأستعين بالمجلس البلدى .

مسز بردچنورث : نعم يابوكسر . انه سيخرجنا من هذه الأزمة، بكل تأكيد .

(يسير كولنز الى الأمام ، وهو متحير نوعا ، باشا ، الى يسار هوتشكس)

هوتشكس : **(ينهض متأثرا بعباءة نائب العمدة)** لم يسبق لى شرف التعرف ؟ أرجو أن تعرفينى به .

كولنز : **(كمن يفضى بسر)** ماأنا الا الخضرى ياسيدى. أنا المسئول عن اعداد فطور الزفاف . مستر كولنز ، نائب العمدة ياسيدى ، عندما أرتدى هذه العباءة .

هوتشكس : **(يترنح)** تشرفنا **(يجلس)**

الأسقف : أنا شخصيا أقدر نصيحة صديقى القديم مستر كولنز أحسن تقدير . اذا سمحت له ايدث وسسيل ...

ايدث : كولنز يعرفنى منذ طفولتى . أنا واثقة أنه سيتفق معى .

كولنز : نعم يا آنسة . تستطيعين أن تعتمدى على فى هذا . هل لى أن أسأل ما هى المسألة ؟

ايدث : المسألة ببساطة : هل تنتظر منى أن أتزوج فى ظل القانون الحالى ؟

سايكس : **(يقف ويتقدم نحو مرفق كولنز الأيسر)** أسألك كرجل عاقل : هل ذلك بالنسبة اليها أسوأ مما هو بالنسبة الى ؟

رجنالد : **(يترك مكانه ويحشر نفسه بين كولنز وسايكس الذى يعود الى كرسيه)** ليست هذه هى النقطة . فليكن ذلك مفهوما يامستر

كولنز . ليس الرجل هو الذى يتراجع ، بل هى المراة **(يلتصق بالمدفأة)**

لزبيا : هذا أمر لا نعترف به يا كولنز . النساء على أتم استعداد لعقد اتفاق معقول .

ليو : مع كلا الرجلين .

الچنرال : القضية أمامك الآن ياكولنز . وأنا أسألك الآن رجلا لرجل : هل سمعت أبدا هراء مجنونا كهذا ؟

مسز بردچنورث : لابد أن يسير الكون ، أليس كذلك ياكولنز ؟

كولنز : **(متمسكا بهذا القول، أول قول مفهوم يسمعه)** أوه ، سيسير الكون يا سيدتى ، لا تخشى شيئا من هذه الناحية . ليس من السهل وقفه كما يظن بعض الناس .

ايدث : كنت أعرف أنك ستتفق معى يا كولنز . أشكرك .

هوتشكس : هل لديك أقل فكرة عما يتحدثون عنه يامستر كولنز ؟

كولنز : التفاصيل لا تهم يا سيدى . أنا لم أقرأ أبدا تقارير اللجان . ماذا يستطيع أعضاؤها أن يقولوا مما لا تعرفه ؟ انك تلتقط الموضوع وهم يتكلمون **(يتجه نحو ركن المائدة ويتحدث الى الجميع عبرها)** المسألة يا سيدى ويامس ايدث ويا سيدتى ويأيها السادة ، كالآتى : الزواج فى حد ذاته أمر محتمل اذا أنت أخذت الأمور ببساطة ولم تتوقع من ورائه شيئا

كثيرا . ولكنه امر لا يصمد أمام التفكير .
والمهم هو حمل الشباب على الارتباط بالزواج
قبل ان يعرفوا حقيقة ما هم مقدمون عليه .
هذه مس لزبيا الآن . لقد انتظرت الى ان
بدأت التفكير فيه ، وعندئذ كان كل شيء قد
انتهى . اذا بدأتما النقاش ، أنت يا مس ايدث
وأنت يا مستر سايكس ، فانكما لن تتزوجا
أبدا . اذهبى وتزوجى أولا ، وستشتركين
فيما بعد فى مناقشات كثيرة ، صدقينى
يا مس ايدث .

هوتشكس : انذارك متأخر . لقد بدأوا النقاش بالفعل .

الچنرال : ولكنك لا تقيم وزنا كاملا لـ ... أوه ، أنا
لا أريد أن أبالغ . ولكننى لا أجد كلمة تعبر
عن فظاعة الموقف . فان هؤلاء السيدات لا
يرفضن عروضنا الشريفة فحسب ، بل هن
فى الواقع يدعيننا كذلك ، كما أفهم ، الى
الدخول فى أحلاف معهن بمقتضى عقود تصاغ
بمعرفة محامينا الملعونين . أرجو المعذرة من
قلبى يا لزبيا اذا كنت مخطئا ، وهو ما أرجو
أن أكونه .

كولنز : يا سلام يا چنرال . هذا شيء جديد عند ما
يكون الطرفان من طبقة واحدة .

الأسقف : ليس شيئا جديدا ياكولنز . لقد فعله الرومان
من قبل .

كولنز : نعم ، هذا شيء يفعله الرومان عندما تكون

فى روما فافعل ما يفعله الرومان ، هكذايقول المثل القديم . ولكننا لسنا فى روما الآن يا سيدى .

الأسقف : ولكننا اقتبسنا الكثير من نظمهم . ما رأيك فى نظام التعاقد يا كولنز ؟

كولنز : عندما يدور الحديث حول العقد يا سيدى فأنا دائما أقول : أرونى اياه مكتوبا على الورق . اذا كان التعاقد شفويا ، فليكن شفويا . أما اذا كان كتابة فليكن على الورق . وعندئذ نعرف أين نحن .

هوتشكس : هذا حق يا مستر كولنز . فلنكتب المسودة فى الحال . هل تسمح لى أيها الأسقف أن أذهب الى المكتب لآتى بالورق والقلم ؟

الأسقف : نعم يا سنچون .

(يذهب سنچون الى المكتب)

كولنز : اذا سمحت لى أن أشير الى احدى الصعوبات يا سيدى .....

الأسقف : بالتأكيد **(يتجه نحو الكرسى الرابع الى يسار الچنرال ، ولكنه قبل أن يجلس يشير الى الكرسى عند طرف المائدة القريب من المدفاة)** ألا تجلس يا مستر كولنز ؟ **(يجلس كولنز مقدراً للأسقف أدبه الجم . وعندئذ يجلس الأسقف)**

كولنز : نحن الآن ستة رجال وأربع سيدات . وهذا ليس عدلا .

رجنالد : تقصد انه ليس عدلا بالنسبة للرجال .

ليـو : اوه . رچى يقول شيئا يدل على الذكاء .
أيمكن أن أكون قد اخطأت فى تقدير مواهبه ؟

(يعود هوتشكس ومعه نشافة وورق . يجلس فى المكان الخالى فى وسط المائدة بين لزبيا والأسقف)

كولنز : أقول لكم الحق يا سيدى ويا سيداتى وسادتى : لست واثقا من صواب حكمى فى هذا الموضوع. توجد سيدةمعينة أستشيرها دائما فى مثل هذه النقط الدقيقة . أن لديها خبرة غير عادية ، ومزاجا مدهشا ، وغريزة للحكم على شؤون القلوب .

هوتشكس : اسمح لى أن أقول لك يا مستر كولنز انى قنزوح وأحذرك من انه لا جدوى من استشارة من لن يسدى الينا النصح بصراحة على أساس الفوارق بين الطبقات . فالزواج مناسب جدًا للطبقات الدنيا ، لأن لدى أفرادها التسهيلات والفرص لكى يهجر أحد الزوجين زوجه ، وهى التسهيلات التى حرمنا منها نحن . ما هو المركز الاجتماعى الذى تشغله هذه السيدة ؟

كولنز : أعلى مركز فى الحى يا سيدى . انها العمدة . ولكن لاحاجة بك الى أن تخشاها يا سيدى. فهى زوجة أخى **(الى الأسقف)** لطالما تحدثت عنها الى السيدة حرمك يا سيدى

(الى مسز بردچنورث) مسز چورچ يا سيدتى .

مسز بردچنورث : **(مندهشة)** هل تريد أن تقول يا كولنز ان مسز چورچ هذه شخصية حقيقية ؟

كولنز : **(مندهشا هو الآخر)** ألم تكونى تعتقدين فى وجودها يا سيدتى ؟

مسز بردچنورث : أبدا .

الأسقف : كنا نظن دائما أن مسزچورچ شخصية أسمى من أن توجد . وما زلت غير مؤمن بوجودها يا كولنز . لابد أن نراها ان شئت أن أقتنع .

كولنز : لقد أذهلنى هذا الى حد اننى ... يا الهى ! انها فى الكنيسة فىهذه اللحظة بالذات ، تنتظر مشاهدة الزفاف .

الأسقف : فلنرها اذن **(كولنز يهز رأسه)** هيا ياكولنز . اعترف . لا وجود لشخصية كهذه .

كولنز : هذه الشخصية موجودة يا سيدى . انها موجودة وأؤكد لك . اسأل چورچ . صحيح أننى لا أستطيع أن أكشف عنها ولكنك تستطيع ذلك يا سيدى .

الأسقف : أنا !

كولنز : نعم يا سيدى انت . لأنها حرمت على ـ لسبب لا أعرفه ـ أن أتحدث عنك أو أدعها تقابلك . لقد طلبت منها أن تأتى الى هنا صبيحة يوم من الأيام التى تقام فيها حفلات الزفاف فى الكنيسة لتساعدنى فى تنسيق

الزهور أو شيء من هذا القبيل ، ولكنها دائما ترفض . أما اذا أمرتها أنت بالحضور ـ بوصفك أسقفها ـ فستأتى . ان لها تصرفات غريبة جدا . ابعث اليها بخاتمك يا سيدى ـ خاتمك الرسمى ـ ابعث به اليها بأسلوب لطيف ـ ولعل مستر هوتشكس هنا يتلطف ويأخذه اليها ـ تأتك حالا .

الأسقف : (**يخلع خاتمه ويعطيه لهوتشكس**) تكرم بأداء هذه المهمة .

هوتشكس : ولكن كيف أعرف هذه السيدة ؟

كولنز : لقد ذهبت الى الكنيسة فى موكبها الرسمى يا سيدى ، يصحبها حامل الصولجان ، الذى سيدلك عليها . وسيجلس فى المقعد الأمامى من العربة عند عودتها .

هوتشكس : لا والله ! سامحنى أيها الأسقف . لاتطلب منى أكثر مما أطيق . لقد هربت من حرب البوير لأننى قنزوح . وأنا أهرب من حامل الصولجان للسبب نفسه . اننى أرفض هذه المهمة رفضا باتا .

الچنرال : (**يقف بمهابة**) تكرم باعطائى هذا الخاتم يا مستر هوتشكس .

هوتشكس : بكل سرور (**يعطيه الخاتم**)

الچنرال : سيكون لى عظيم الشرف يا مستر كولنز فى خدمة العمدة طبقا لأوامر الأسقف . وسأكون فخورا عند العودة مكرما فى عربة البلدية .

(يخرج فى شهامة بينمـا يقف كولنز لحظـة لينحنى له فى اعتداد واضح)

رچنالد : بوكسر رجل خدوم طيب .

هوتشكس : ولكن له فى بدلته الرسمية ميزة غير عادلة . لأن جميـع الأنظـار سـتتحول من حامل الصولجان اليه !

كولنز : أظن أننا نسـتطيع يا سـيدى أن نمضى فى صياغة العقد فى فترة الانتظار . فالحق أنه لن تكون لدى أحد منا فرصة عندما تصل مسز چورچ . فلنتم الجزء الكتابى من هذه المهمة قبل وصولها .

هوتشكس : لقد انتهيت من تدوين المواد الأسـاسـية . **(يقرأ)** « تعاقد محرر بتاريخ ــــــــــــ بين ــــــــ من ــــــــ بمحافظة ــــــــ الذى يشار اليه باسم چنتلمان كطــرف أول وبين ــــــــــــ من ــــــــ بمحافظة ــــــــ التى يشار اليهـا باسم ليدى كطرف ثان ، تم بمقتضاه الاتفاق على ما يلى : »

ليـو : **(تقف)** قليلا من الأدب يا سنچون . اسم السيدة يأتى أولا .

(تذهب وراءه وتنحنى لتلقى نظرة على المسودة من فوق كتفه)

هوتشكس : بالتأكيد . أرجو عفوك **(يصحح المسودة)**

ليـو : وقد ذكرت سيدة واحدة وچنتلمانا واحدا فقط . يجب أن تذكر چنتلمانين .

كولنز : انها مجرد شكليات يا سيدتى . فمن الممكن ذكر أى عدد من الرجال والسيدات .

ليـو : ليس أى عدد من السيدات . سيدة واحدة فقط . ثم ان تلك المخلوقة ليست سيدة .

رچنالد : أنت لا تدركين الحقيقة يا ليو . هذه صيغة عامة للتعاقد مع أى شخص . وليس عقدك أنت .

ليـو : اذن فما فائدته لى ؟

هوتشكس : ستستعينين به فى كتابة عقدك .

ايدث : أرجو ألا تكون هناك استعانة . فليكن رائدنا الحق الواضح البين ، ولا شىء الا الحق .

كولنز : نعم نعم ، سيكون كل شىء على ما يرام . اننا لا نخفى شيئا ، أؤكد لك . ما هو الا نموذج للعقـد .

ايدث : (غير مقتنعة) هذا ما أرجوه .

هوتشكس : ما هو البند الأول عادة فى أية اتفاقية ؟ أنت تعلم يا مستر كولنز .

كولنز : (فى حيرة) الحق يا سيدى أن باشكاتب البلدية هو الذى يعالج دائما مثل هذه الأمور . لم أعد أفكر النفسى فى هذه المسائل الصغيرة . لعل سيدى الأسقف يعلم .

الأسقف : يؤسفنى أن أقول اننى لا أعلم . ولكن سومز يعلم . آليس : أين سومز ؟

هوتشكس : هناك **(يشير الى المكتب)**

الأسقف : **(مخاطبا زوجته)** حاولى ان تأتى به الينا يا حبيبتى **(تذهب مسز برد چنورث الى المكتب)** سومز هو راعى الكنيسة يا مستر كولنز . أصعب ما يواجه أساقفة الكنيسة الانجليزية اليوم هو أن شئون الأسقفية تستوجب أن يكون الأسقف رجل أعمال قبل كل شىء ، يستطيع أن يجلس الى مكتبه ١٦ ساعة فى اليوم . ولكن عاقبة وجود اساقفة من هذا النوع هى أن المصالح الروحية للكنيسة وما لها من نفوذ على أرواح الناس وأفئدتهم ، آخذة سريعا فى الذهاب الى الشيطان ...

ايدث : **(مصدومة)** بابا !

الأسقف : أنا أتحدث عن الناحية الفنية ، لا كما يتحدث بوكسر ./ بل ان الأساقفة أنفسهم قد تمادوا فى هذا الاتجاه الى حد أنهم أصبحوا مشهورين بأنهم أغبى الناس روحيا وأذكاهم تجاريا . وقد اهتديت الى سبيل للتخلص من هذه الصعوبة . كان سومز متخصصا فى الشؤون القانونية . وقد تبينت أن سومز - رغم كونه رجل أعمال من الطراز الأول - له ماض عاطفى سرى . فقد كان أبوه من أقطاب طائفة المنشقين ، وكان يتحدث دائما عن الكنيسة الانجليزية بازدراء ويسميها المرأة القرمزية .

وقد انضم سومز الى الكنيسة الانجليزية سرا وهو فى الخامسة عشرة من عمره . وكان يتوق الى أن يصبح من رجال هذه الكنيسة ، ولكنه لم يجرؤ على ذلك لأن أباه كان ذا قلب ضعيف، وكان يخشى أن يسقط ميتا اذا مس احساسه أحد . ولعلكم تلاحظون أن ذوى القلوب الضعيفة هم طغاة الحياة العائلية الانجليزية. وهكذا أصبح سومز المسكين من رجال القانون. وبعد أن مات أبوه - ومن الغريب حقا أنه مات من الحمى القرمزية وتبين أن قلبه كان سليما تماما - قمت بتنصيبه قسا وعينته راعيا للكنيسة . وهو الآن سعيد غاية السعادة . وهو أعزب . يصوم أيام الجمع وأيام الصوم الكبير . ويرتدى المسح والقلنسوة . ويقوم الآن بأعمال قانونية تفوق ما كان يقوم به عندما كان يعمل محاميا . ثم هو جعلنى أتحرر وأتفرغ للشؤون الروحية والفقهية التى تناسب وظيفة الأسقف .

مسز بردچنورث : **(تعود من باب المكتب ومعها حقيبة بها أدوات التريكو)** ها هو . **(تجلس على مقعدها وتبدأ فى شغل التريكو)**

(يدخل سومز فى مسحه وقلنسوته ويحيى الحاضرين ويباركهم باصبعين)

هوتشكس : تعال مكانى يا مستر سومز **(يتخلى له عن كرسيه ويعود الى البوريه حيث يجلس)**

الأسقف : لم يعد يسمى مستر سومز يا سنچون ـ هو الآن الأب آنتونى .

سومز : **(يتخذ مقعده)** لقد تم تعميدى باسم اولفر كروموول سومز . لم يكن لأبى حق فى ان يفعل ذلك . ولذا سميت نفسى آنتونى . عندما تصبحون آباء يا سادة ، عليكم ان تحذروا الحذر كله ألا تلصقوا بالطفل آراء قد ينظر اليها فيما بعد نظرة استنكار .

الأسقف : هل شرحت لك آليس نوع الوثيقة التى نقوم بصياغتها ؟

سومز : نعم نعم ، فعلت هذا .

لزبيا : أنت تبدو كما لو كنت لا توافق .

سومز : لا حق لى فى أن أوافق أو لا أوافق . أنا أقوم بعمل كل ما يريد منى رئيسى الدينى أن أعمله .

الأسقف : كن كريما يا آنتونى . لا بد أن تسدى الينا أحسن نصائحك .

سومز : نصيحتى اليكم جميعا هى أن تقوموا بواجبكم ، وذلك بأن تؤدوا اليمين المسيحية متعهدين بالتزام العزوبة والفقر . لقد أنشئت الكنيسة لتضع حدا للزواج ، ولتضع حدا للملكية .

مسز بردچنورث : ولكن كيف يسير الكون يا آنتونى ؟

سومز : أدى واجبك وانظرى ما سيكون . ان

قيامك بواجبك هو وظيفتك . أما جعل الكون يسير ، فهذا أمر زمامه فى يد عليا .

الزبيا : آنتونى ، التفاهم معك مستحيل .

سومز : (يتناول ريشته) انت لاتأخذين بنصيحتى. لم أتوقع منك أن تأخذى بها . انا فى انتظار تعليماتكم .

رچنالد : لقد احترنا فى أمر البند الأول . كيف نبدا ؟

سومز : يكون البدء عادة بذكر مدة العقد .

ايدث : ماذا يعنى هذا ؟

سومز : عدد السنوات التى يكون العقد فيها سارى المفعول .

ليو : ولكن هذا عقد زواج .

سومز : هل سيكون الزواج لعام أو لأسبوع أو ليوم ؟

رچنالد : أوه آنتونى ، أنت أسوأ منا جميعا . زواج ليوم !

سومز : الانحراف عن السبيل ، هو انحراف عن السبيل . بوصة أو ميل ، ماذا يهم ؟

ليو : اذا لم يكن الزواج الى الأبد ، فلن أتزوج . انه فى نظرى أمر مناف للأخلاق أن يكون الزواج لعدد من السنين . فى وسع الناس أن يحصلوا على الطلاق اذا لم يعجبهم الزواج .

رچنالد : ينبغى أن يكون الزواج للفترة التى يرغب فيها الطرفان . هذا رأيى .

كولنز : يبدو أنهم لن يتفقوا على هذه النقطة

يا سيدى . فهى غالبا عسيرة بالنسبة لأحد الطرفين ، ويسيرة بالنسبة للآخر .

لزبيـا : أرى أن يكون الزواج سـارى المفعول طالمـا يحسن الرجل السلوك .

الأسقف : لنفرض أن المرأة لم تحسن السلوك ؟

مسز بردچنورث : ربما تـكون المرأة قد فقدت جميـع الفرص لزواج طيب من شخص آخر . يجب عندئذ ألا يلقى بها فى عرض الطريق .

رچنالد : وكذلك الرجل ! ماذا عن بيته ؟

ليـو : يجب على الزوجة أن ترعى شـئونه ، وأن تحرص دائمـا على راحتـه ، وأن ترى أنه يعتنى بنفسـه عنـاية كافية . لأن الرجل الآخر لن يريدها طول الوقت .

لزبيـا : وقد لا يكون هناك رجل آخر .

ليـو : فلماذا اذن تترك زوجها ؟

لزبيـا : لأنها تريد ذلك .

ليـو : أوه . اذا سمح للناس أن يفعلوا ما يريدون أن يفعـلوا ، فأنا أعتبر هـذا أمرا منافيـا للأخلاق **(تسير ساخطة نحو البوريه ، وتلقى بنفسها عليه ملاصقة لهوتشكس)**

رچنالد : **(يرقبهما فى مرارة)** ولـكنك تفعلين ذلك ، هه ؟

ليـو : أوه ، ذلك أمر مختلف . لا تبد ذكاء أحمق يا رچى .

الأسقف : يبدو أننا لا نتقدم . ماذا ترى يا مستر كولنز ؟

كولنز : أنت ترى يا سيدى أن الناس تتحدث عن الزواج كما لو كان نوعا واحدا . ولكن عدد أنواع الزواج المختلفة يكاد يعدل عدد الناس المختلفين . فهناك الشباب الذين يتزوجون بدافع الحب وهم لايدرون ما يفعلون ، وهناك العجائز الذين يتزوجون بدافع المال والراحة والصحبة . ناس يتزوجون للرغبة فى انجاب الأطفال . وناس لا نية لديهم فى انجاب الأطفال ولا يصلحون لتربية الأطفال . هناك من يتزوجون لأن الجنس الآخر يطاردهم فهم يريدون وضع حد لهذه المطاردة بوسيلة ما . وهناك من يريدون محاولة تجربة جديدة ، ومن يريدون الكف عن التجارب ، كيف ترضى هؤلاء جميعا ؟ أنت تريد لذلك ستة أنواع مختلفة من العقود .

الأسقف : ما دام الأمر كذلك فلنقم بصياغتها جميعا ، فلنواجه الأمر .

رجنالد : ما الذى يضطرنا الى البقاء معا زوجا وزوجة سواء شئنا أم أبينا ؟ هذا هو السؤال الذى يكمن وراء هذه المسألة .

مسز بردچنورث : بسبب الأولاد يا رچى .

كولنز : وحتى لهذا السبب يا سيدتى ، ما الذى يضطرنا الى البقاء معا بعد أن يفشل الزواج ،

عند ما تكون البنات قد تزوجن ، والصبية قد نزلوا الى معترك الحياة ؟ عند ما يتم هذا ، يكون الفرض من الزواج قد تم وانتهى . اذا شاء الزوجان ان يبقيا معا ، فليبقيا معا . أما اذا لم يشاءا ، فليفترقا كما يفترق العجائز فى المصانع . لقد سئم أحدهما الآخر . لقد عرف كل منهما حقيقة الآخر . لماذا يرتبط أحدهما بالآخر ليجلسا حيث يحقد كل منهما على الآخر ويكرهه ولا يطيق رؤيته شأن الكثيرين ؟ فلتكن مدة الزواج عشرين عاما تبدأ من مولد أصغر طفل .

سومز : واذا لم يكن هناك أطفال ؟

كولنز : فليدم الزواج ما داما متحابين .

مسز بردچنورث : كولنز !

ليو : أيها العجوز الخبيث !

الأسقف : **(معاتبا)** لا . لا . لا .

لزبيا : وعلام تعيش المرأة اذا لم تعد محبوبة على حد قولك ؟

سومز : **(فى لهجة رسمية هازئة)** هناك اقتراح بأن تكون مدة العقد عشرين عاما تبدأ من مولد أصغر طفل عندما ينجب الزوجان أطفالا . هل من تعديل ؟

ليو : أنا أحتج. يجب أن يكون الزواج مدى الحياة. لن يكون زواجا أبدا ما لم يكن مدى الحياة .

سومز : مسز رچنالد بردچنورث تقترح ان يكون الزواج مدى الحياة . هل من مؤيد ؟

ليو : لا تكن رسميا جافا يا آنتونى .

لزبيا : لدى تعديل هام جدا . اذا كان هناك اطفال، وجب أن يخرج الرجل من المنزل تماما لمدة عامين عقب ولادة كل طفل . ففى هذه الحالة يكون الرجل زائدا عن الحاجة ، ثقيل الظل، مضحكا .

كولنز : ولكن الى أين يذهب يامس لزبيا ؟

لزبيا : يستطيع أن يذهب حيث يشاء طالما هو لا يضايق الأم .

رچنالد : وهل تترك هى وحيدة ...

لزبيا : وحيدة ! انها مع طفلها. ستكون المرأةالمسكينة فى أشد حالات السرور لتخلو لنفسها لحظة . لا تكن سخيفا يا رچى .

رچنالد : سيكون الأب طريدا متجولا بائسا ، يعيش فى ناديه ، ولا يرى الا صديقات زوجته .

لزبيا : **(ساخرة)** مسكين !

هوتشكس : لعل صديقات الزوجة هن حل المشكلة . ذلك أن أزواجهن سيكونون هم الآخرون طريدين. وستحن الزوجات المسكينات الى صحبة الرجال .

لزبيا : ليس هناك ما يمنع الأم من أن تنشد صحبة الرجال . ولكن ينبغى ألا يكون لها زوج .

سومز : هل من شىء آخر يا مس جرانثام ؟

لزبيــا : لابد أن يكون لى بيت خاص مسـتقل ، أو جزء خاص مستقل من بيت . بوكسر يدخن، وأنا لا أطيق رائحة التبغ . بوكسر يعتقد أن النافذة المفتوحة معناها الموت من البرد ومن التعرض لهواء الليـل ، أما أنا فلا بد لى من الهـواء النقى دائمـا . نسـتطيع أن نكون صديقين ، ولكن لا نستطيع أن نعيش معا . وهذا ما يجب أن يتضمنه العقد .

ايدث : أما أنا فلا أعترض على التدخين . واما فيما يتعلق بفتح النوافذ ، فان سسيل سيفعل بالطبع ما يلائم صحته .

الأسقف : ومن سيكون الحكم فى ذلك يا عزيزتى ؟ أنت أم هو ؟

ايدث : لا هــو ولا أنا . يجب أن نفعـل ما يأمر به الطبيب .

رچنالد : فليذهب الطبيب الى ...

ليــو : (**محذرة**) رچى !

رچنالد : (**مخاطبا سومز**) اتبع نصيحتى يا آنتونى . ضع فى هذا العقد نصـا على أن الطبيب لن يكون له رأى . وكفى الطرفين شرا أن يتزوج أحدهما الآخر دون أن يكونا كلاهما متزوجين من الطبيب كذلك .

لزبيــا : هذا يذكرنى بأمر فى غاية الأهميـة . بوكسر يعتقد فى التطعيم ضد الأمراض ، أما أنا فلا .

لابد اذن أن يكون هناك نص على ان اتخذ انا قرارا فى مثل هذه الأمور بما أراه افضل .

ليـو : (**مخاطبة الأسقف**) والتعميـد يكاد يقترب فى أهميته من التطعيم . أليس كذلك ؟

الأسقف : جرت العادة باعتباره كذلك يا عزيزتى .

ليـو : سنجون يهزأ من التعميد ويقول ان الاشبين يدعو الى السخرية . لابد أن يكون لى حق البت فى ذلك .

رجنالد : سيكون الأولاد أولاده كما هم أولادك .

ليـو : لا تكن قليل الذوق يا رجى .

ايدث : لقد نسيتم مسألة هامة جدا ، وهى المال .

كولنز : آه ! المال ! الآن نبحثها .

ايدث : عندما أتزوج لن يكون لى من المال الا ما أكسبه .

الأسقف : أنا آسف ياسسيل ، فان ابنة الأسقف ماهى الا ابنة رجل فقير .

سايكس : أرجو ألا يدور بخلدك أننى سـأجعل ايدث تعمل عندما نتزوج . أنا لست غنيا ، ولكن لدى من المال مايكفى ليوفر عليها هذا العناء. وعند ما تموت أمى . . .

ايدث : كلام فارغ ! بالطبع سأعمل عندما اتزوج . سأدير منزلك .

سايكس : أوه ، هذا !

رجنالد : هل تسمين ذلك عملا ؟

ايدث : ألا تسميه أنت عملا ؟ لقد اعتادت ليو أن تقوم به بدون مقابل . ولذلك فلا شك فى أنك لم

تكن تعتبره عملا على الاطلاق . هل تقوم به مديرة بيتك الحالية بدون مقابل ؟

رچنالد : ولكن ذلك سيكون جزءا من واجبك كزوجة.

ايدث : ليس بمقتضى هذا العقد . فهذا ما لا أوافق عليه . اذا كنت أنا التى ستدير البيت ، فسأنتظر من سسيل أن يدفع لى على الأقل كما يدفع لمديرة البيت . فأنا لا أقبل أن أذهب اليه مستجدية فى كل مرة أريد فيها فستانا جديدا أو أجرة تاكسى ، كما يفعل كثير من النساء .

سايكس : أنت تعلمين حق العلم يا ادى أننى لن أبخل عليك بشىء .

ايدث : اذن فلا تبخل على باستقلالى واحترامى لنفسى . أنا أصر على هذا ، انصافا لك يا سسيل ، لأن هذه الوسيلة ستكفل لى مبلغا من المال خاصا بى وحدى . واذا اتخذ « سلاتوكس » أى اجراء ضدك بسبب أى شىء أقوله، استطعت عندئذ أن تدفع التعويض وتخصمه من مرتبى .

سومز : نسيت أنه لن يكون مسئولا عنك بمقتضى هذا العقد ، لأنك لن تكونى زوجته أمام القانون .

ايدث : كلام فارغ ! بالطبع سأكون زوجته .

كولنز : **(وقد ثار فضوله)** هل اتخذ سلاتوكس ضدك اجراء ما يا مس ايدث ؟ سلاتوكس عضو

معى فى المجلس البلدى . هل استطيع ان أسوى هذه المسألة ؟

ايدث : هو لم يتخذ أى اجراء ، ولكن سسيل يقول انه قد يفعل .

كولنز : ولماذا يا مس ايدث ، اذا أذنت لى فى السؤال؟

ايدث : سلاتوكس كذاب ولص . ومن واجبى ان أكشفه .

كولنز : أنت تدهشيننى يا آنسة . سلاتوكس كذاب بطبيعة الحال ، الى حد ما . وان سمحتم لى أن أكون صريحا دون أن أمس شعور احد منكم ، فاننا جميعا كذابون ، ولو على الأقل بقصد محافظة كل منا على شعور الآخر . ولكننى لا أوافق على نعت سلاتوكس بأنه لص . انه ليس كما ينبغى أن يكون ، ولكنه يدفع بطريقته الخاصة .

ايدث : اذا كنت تقول بطريقة لطيفة ان سلاتوكس غير جدير بالمرة بأن يكون تحت سلطته مائتا فتاة كاماء ، فسأقول عنه شيئا آخر فى أول اجتماع مقبل أخطب فيه . سأقول انه يسرق أجورهن بحجة فرض الغرامات عليهن . ويسرق طعامهن بحجة شرائه لهن . وهو يكذب حين ينكر أنه يفعل ذلك . ثم هويفعل أشياء أخرى كما تعلم يا كولنز . ولذا فاننى أحيطك علما بأننى سأكشف عن حقيقته امام

انجلترا بأسرها دون أقل مراعاة لعواقب ذلك بالنسبة الى .

سايكس : ولا بالنسبة الى ؟

ايدث : أنا أتعرض للمخاطر على قدم المساواة بينى وبينك . فلنفرض أنك رأيت من واجبك أن تطلق النار على سلاتوكس ، فماذا يكون من أمرى أنا والأطفال ؟ أنا لا أريد اطلاق النار على أحد ، ولا حتى سلاتوكس . ولكن اذا كان الجمهور لن يعرف المساوىء والشرور ، بل حتى ولا أظهرها للعيان ، الا اذا أطلقت النار على أحد ، فما عسى يفعل الناس غير اطلاق النار على أحد ؟

سومز : **(فى ضجر)** أنا فى انتظار التعليمات عن مدة الاتفاق .

رچنالد : **(وقد نفد صبره ، يترك المدفأة ويذهب خلف سومز)** لا جدوى من تشعب الحديث بهذا الشكل ، والا بقينا هنا طول النهار . أنا أقترح أن يكون الاتفاق سارى المفعول الى أن يتم طلاق الطرفين .

سومز : لايمكن أن يكون هناك طلاق ، فهما لن يتزوجا .

رچنالد : ولكن اذا لم يمكن طلاقهما كان ذلك أسوأ من الزواج .

مسز بردچنورث : بالطبع . كفوا عن هذا العبث . فى حضانة من سيكون الأطفال ؟

لزبيـــا : لقد اتفقنا فعلا على أن يكون الأطفال فى حضانة الأم .

رچنالد : لا ، لم يحدث هذا . سأقاتل فى سبيل ملكية أولادى الى آخر رمق . وكذلك سيفعل عدد كبير من الرجال .

ايدث : يبدو لى أنه لابد من تقسيمهم بين الوالدين . اذا شاء سسيل أن يكون بعض الأطفـال له وحده ، فلا بد له أن يدفع لى مبلغا معينـا مقابل العناء والخطر اللذين تعرضت لهما عند انجابهم الى هذه الحياة ، فلأقل ألف جنيـه عن كل طفل . أما الأرباح التى تستحق عن هذا المال فيمكن أن تخصص لتربيـة الطفل طالما كنا نعيش معا . ولكن المال نفسه يكون ملكى . وبهذه الطريقة ، اذا انتزع سسـيل الطفل منى ، أكون قد حصلت على الأقل على ما كلفنى اياه الطفل .

مسز بردچنورث : (**تضع التريكو فى دهشـــة**) ايدث ! من ذا الذى سمع بشىء كهذا ؟

ايدث : **كيف اذن تسوين هذه المسألة ؟**

الأسقف : **هناك الطفـل المفضـل . ماذا يكون من امر الطفل الأصغر ، الذى ينجبه الوالدان بعد ان يكونا قد بلغا سن النضوج وعمل البر ، الطفل الذى يلقى دائما من المعاملة والحب خيرا مما يلقاه الأولاد الأكبر سنا والأتعس حظا اذ يولدون والوالدان فى جهـل الشباب وعنـاده ؟ أى**

الوالدين تكون له ملكية الطفل ، سواء اكان هناك دفع ام لا ؟

كولنز : يوجد طرف ثالث يا سيدى الأسقف . الطفل نفسه . ان زوجتى مغرمة بأولادها اشد غرام بحيث لا يستطيعون أن يقولوا انهم يتصرفون فى حياتهم وفق هواهم . فهم جميعا يفرون من البيت هربا منها . فالطفل ليست لديه مالدى الشخص البالغ من شهية للحب . قليل منه يكفى الأطفال أمدا طويلا . وهم يحبون تقليد الحب أكثر من الحب الحقيقى ، كما تعرف كل مربية .

سومز : هل أنت على يقين من أن أى واحد منا - كبيرا أم صغيرا - يحب الشىء الحقيقى كما يحب تقليدا فنيا له ؟ أليس الشىء الحقيقى مغضوبا عليه ؟ أليس أقرب الناس الى القلوب هم الممثلون الأكفاء وليس من يتألمون بحق ؟ أليس الحب يشوه ويمسخ فى القصص والمسرحيات حتى يبدو مقبولا محتملا ؟ لقد لاحظت فى نفسى متعة عظيمة عند مشاهدة صور القديسين والسيدة العذراء ، ولكن عندما أنوء بعبء أفظع لعنة يتحملها القسيس - اللعنة التى تحملها يوسف اذ طاردته امرأة العزيز - عندئذ أرتدع وأمتلىء رعبا .

هوتشكس : هل تتحدث الآن كقديس أيها الأب آنتونى ، أم كمحام ؟

سومز : لا فرق . فليست هنـاك شريعة مسيحيـة المحـامين وأخرى للقديسـين . ان قلوبهم متشابهة . وسبيلهم للخلاص هى السير فى طريق واحد .

الأسقف : ولكن « قليلون هؤلاء الذين يهتدون اليه » . هل تستطيع أن تجده لنا يا آنتونى ؟

سومز : انه واضح أمامك . ان الطـريق الى الهلاك هو الضيق المتعرج . الزواج منكر ، أنشئت الكنيسة لتمحوه وتضـع فى مكانه مخالطة القديسـين . لم أتعلم هذا من كل تسوية زواج قمت بها كمحام فحسب ، بل تعلمته كذلك عن طريق الوحى . لقد اجتمعتم هنا لتسـجلوا خطيئتكم على الورق . وهأنتم أولاء لا تستطيعون الاتفاق على بند واحد ولا تطيقون هذا البند الواحد .

سايكس : غريب حقاً أن ينهار كل شىء بمجرد تدخلك فيـه .

الأسقف : اذا أنت أعطيت الشيطان حقه هزمته . انه لم يستطع أن يصوغ حتى البند الأول من الاتفاق . أظن أننا لا نستطيع الانتظار أطول من ذلك .

لزبيـا : اذن فليمض المجتمع بدون أولادى .

ايدث : وليمض سسيل بدونى .

ليـو : (**تنهض من فوق البوريه**) وانا قطعـا لن أتزوج سنجون اذا هو لم يكن ذكياً بحيث

يصوغ بندا ينص على رعايتى رچى . **(تترك هوتشكس وتعود الى كرسيها عند طرف المائدة خلف مسز بردچنورث)**

مسز بردچنورث : وستكون نهاية العالم فى هذا الجيل على ما أظن .

كولنز : ألا يمكن عمل شىء يا سيدى ؟

الأسقف : يمكن جعل الطلاق أمراً معقولا ومقبولا . هذا كل ما فى الأمر .

لزبيا : شكرا على لا شىء . اذا جعلت الزواج معقولا ومقبولا ، استطعت أن تفعل ما تشاء بالطلاق . أنا لم أعرب عن عميق معارضتى للزواج . ولا نية لدى فى ذلك . هناك حقوق معينة لن أمنحها لأى شخص لتكون له على .

رچنالد : أظن أن من الصعب على الرجل أن يعول زوجته أعواما ، وتفوته الفرصة للحصول على زوجة صالحة حقا ، ثم تأتى فترفض أن تكون زوجته .

لزبيا : لن أناقشك فى ذلك يا رچى . اذا كان احساسك بكرامتك يحول بينك وبين الفهم ، فلا شىء يجعلك تفهم .

سومز : **(فى غل)** ما زلت فى انتظار تعليماتى .

(ينظر كل منهم الى الآخر ، كل ينتظر من الآخر أن يقول شيئا . صمت)

رچنالد : **(دون تحديد)** أظن ... بعد كل شىء ...

الزواج أفضل من ... أفضل من البديل المعتاد .

سومز : **(منقلبا عليه بقسوة)** بأى حق تقول هذا ؟ أنت تعلم أن الخطايا التى تنهك هذه الأمة وتورثها الجنون هى تلك التى ترتكب فى الزواج .

كولنز : ولكن العزاب لا يستطيعون اشباع حاجتهم الى الحب كما يفعل المتزوجون .

سومز : دعنا من هذا كله ، قلت لك . لديكم تعاليم السيد المسيح . أطيعوها .

هوتشكس : **(ينهض ويتكىء على ظهر الكرسى الذى تركه الجنرال شاغرا)** يجب أن أبين لك يا أب آنتونى أن الأحكام المسيحية الأولى المتعلقة بالحياة لم يكن مقصودا لها الدوام ، لأن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن الحياة نفسها ستدوم . ونحن نعلم الآن أننا نمضى فى الحياة . وقد علمنا أن وراءنا ملايين السنين . ونعلم أن أمامنا ملايين أخرى . وما زال سؤال مسز بردچنورث باقيا بدون جواب . كيف يسير الكون ؟ أنتم تقولون ان ذلك ليس من شئوننا ، انه من شئون العناية الالهية . ولكن الرأى المسيحى الحديث هو أننا هنا لنتولى شئون العناية الالهية ولاشىء آخر . والسؤال هو : كيف ؟ أليس من حقى ان أستخدم عقلى لأعرف كيف ؟ أليس ذلك

هو السبب الذى من اجله وُجد عقلى ؟ كل ما يقوله لى عقلى الآن ، هو أنك مهووس لا تطاق وغير عملى .

سومز : وهل يساعد ذلك فى حل المشكلة ؟

هوتشكس : لا .

سومز : اذن فصلٌ من أجل الهداية .

هوتشكس : لا . أنا قنزوح ولست بشحاذ (**يجلس فى مقعد الچنرال**)

كولنز : لا يبدو أننا نتقدم أبدا . مس ايدث : الافضل أن تذهبى أنت ومستر سايكس الى الكنيسة على أن تتفقا فيما بعد على ما هو صواب وما هو خطأ . سيريح ذلك عقليكما . صدقانى . أنا أتحدث عن خبرة . ستحرقون سفنكم ، كما يقول المثل .

سومز : يجب الا نحرق سفننا أبدا . انه الموت حيا .

كولنز : لا ريب أيها الأب أن لك آراءك الخاصة ، وأنك لا تخشى الجهر بها . ولكن بعضنا ذو طبيعة أبهج من هذا . ولو كنت أنت الآن فى مجلس البلدية لكنت أقلية وحدك . يجب أن تتقبل الطبيعة البشرية كما هى .

سومز : وما الذى يضطرنى الى هذا ؟ أنا أتقبل الطبيعة الالهية كما هى ، ولن أحمل شمعة للشيطان .

الأسقف : هذه الطريقة فى معاملة الشيطان ليست مسيحية بالمرة .

رچنالد : يبدو أننا لا نتقدم أبدا .

الأسقف : هل تتخلين عن كل هذا وتتزوجين يا ايدث ؟

ايدث : لا . ان ما أقترحه يبدو لى معقولا جدا .

الأسقف : وأنت يا لزبيا ؟

لزبيا : أبدا .

مسز بردچنورث : أبدا كلمة طويلة يا لزبيا . لا تقوليها .

لزبيا : **(فى لمحة غضب)** لا تشفقى على يا آليس ، أرجوك . أنا – كما قلت من قبل – سيدة انجليزية ، على أتم استعداد لأستغنى عن أى شىء لا أستطيع الحصول عليه بشروط مشرفة .

سومز : **(بعد صمت ينبىء عن الحبوط التام)** ما زلت أنتظر تعليماتى .

رچنالد : يبدو أننا لا نتقدم أبدا .

ليو : **(نافدة الصبر)** لقد قلت هذا من قبل يا رچى . لا تكرر ما قلته .

رچنالد : أوه ، كفى هراء ! **(يذهب الى باب الحديقة وينظر الى الخارج فى وجوم)**

سومز : **(يقف والأوراق فى يديه)** هـه ! **(يمزقه اربا)** يكفى هذا لعقدكم !

صوت حامل الصوجان : بعد استئذانكم أيها السادة . افسحوا الطريق للعمدة . أفسحوا الطريق لصاحبة العصمة العمدة ايها السادة **(يدخل من باب البرج ، مرتديا قبعة ذات قمة مثلثة ومعطفا موشى بالذهب ، يحمل صوجان البلدية ،**

ويقف عند المدخل) بعد استئذانكم ايها السادة . أفسحوا الطريق لصاحبة العصمة العمدة .

كولنز : **(يتراجع نحوالحائط)** مسز چورچ ياسيدى .

(مسز چورچ عمدة من الرأس الى القدم بالنسبة الى ما ترتديه من زى ذى طراز خاص . وهى ترتديه فى اناقة متناهية . لا شىء هادىء فى مسز چورچ ، فهى لاتخشى الألوان ، وتعرف كيف تستخدمها أحسن استخدام . وهى أبعد من أن تكون سيدة بالمعنى الذى تقصده لزبيا من هذه الكلمة كدليل على طبقة معينة ، ولذا فهى تبدو من النظرة الأولى امرأة ظافرة ، منعمة ، صلبة الرأى ، حية أشد الحياة ، عاشت دائما غنية بين فقراء . ولو كانت فى متحف تاريخى لعرفنا سر غرام ادوارد الرابع بزوجات أصحاب الحوانيت . أما عمرها ، الذى هو أربعون عاما بالتأكيد ، وقد يكون خمسين ، فيتضاءل أمام حيويتها ، وقوامها اللدن ، ومظهرها الواثق المطمئن . انها حتى الآن امرأة مصون ، الا أن جمالها قد تحطم ، شانه شان بقعة جميلة من الأرض لا عمر لها شوهتها حرب طويلة الأمد ضروس . أما

عيناها فكلهما حيـــاة ، تاسران ، وتطاردان . وما زالت هناك بقية من جمال رقيق وكبرياء فى ذقنها الجموح . ولكن وجنتيها نحيلتـــان مجعدتان ، وفمها مفتول يدعو الى الرثاء . الوجه كله ميدان لمعركة بين العواطف ، وجه يثير الأسى والاشفاق ، الى أن تتكلم ، فعندئذ تتجدد حيويتها اذ تتيقظ فيها روح الفكاهة فى لحظة فتجعل معشرها لا يقاوم .

(يقف الجميع ماعدا سومز الذى يجلس. تنضم ليبو الى رچنـــالد عند باب الحديقة . تهرول مســـز بردچنـــورث نحو باب البرج لتســـتقبل ضيفتها ، وما تـــكاد تبلغ مقعد سومز حتى تبدو مسز چورج . هوتشكس، اذ يبدو أنه يعرفها ، يتسلل فزعا نحو باب المكتب عند أبعد ركن فى الغرفة منها)

مســز چورج : **(متجهة رأســـا نحو الأســـقف والخـــاتم فى يدها)** هذا هو خاتمك يا سيدى. وهأنذى. وارجـــو ان تذكر ان هـــذه ارادتك وليست ارادتى .

الأسقف : كرم منك أن تأتى .

مســز بردچنورث : كيف حالك يا مسز كولنز ؟

مســز چورج : **(تتجه اليها مارة بالأسقف وتحدق فيها عن عمد)** هل أنت زوجته ؟

مســز بردچنورث : زوجة الأسقف ؟ نعم .

مسز چورچ : يا له من نصيب ! ومع ذلك فأنت تبدين كأية امرأة أخرى .

مسز بردچنورث : (**تقدم لزبيا**) أختى ، مس جرانثام .

مسز چورچ : ذات الشأن العجيب فى حياة الچنرال ؟

الأسقف : أنت تعرفين قصة حياته اذن .

مسز چورچ : لا أعرفها كلها . لقد وصلنا الى البيت قبل أن يتم روايتها لى . ولكنه روى لى ما يكفى لأعرف الدور الذى قامت به مس جرانثام فى حياته .

مسز بردچنورث : (**تقدم ليو**) مسز رچنالد بردچنورث .

رچنالد : مسز رچنالد بردچنورث سابقا .

ليو : امسك لسانك يا رچى . كن لطيفا حتى يصدر حكم المحكمة على الأقل .

مسز چورچ : (**مخاطبة ليو**) لديك متسع من الوقت أكثر مما لديه لتتزوجى من جديد .

مسز بردچنورث : (**تقدم هوتشكس**) مستر سنت چون هوتشكس .

(هوتشكس ، وهو ما يزال منزويا عند باب المكتب ، ينحنى)

مسز چورچ : ماذا ! (**تدور نصف دورة فى المطبخ تنتهى بها أمامه**) اسمع يا رجل . هل تذكر يوم جئت الى دكانى لتقول لى ان الفحم الذى يبيعه زوجى لا محل له فى قبو بيتك ، لأن الطبيعة قصدت أن يكون مكانه فى السقف ؟

هوتشكس : أذكر تلك الوقاحة المؤسفة بالخزى والعار .

كنت لطيفة معى ، وكان جوابك أن مستر كولنز يبحث عن شاب ذكى يقوم بكتابة الاعلانات ، وأننى أستطيع أن أقبل الوظيفة ان شئت .

مسز چورچ : ما زالت الوظيفة شاغرة **(تنتقل الى ايدث)**

مسز بردچنورث : ابنتى ايدث **(تسير نحو باب المكتب لتقوم بتعريفهما)**

مسز چورچ : العروس ! **(تنظر الى جاكتة ايدث)** لن تتزوجى فى هذه الملابس ، هه ؟

الأسقف : **(يدور حول المائدة الى يسار ايدث)** هذا هو ما كنا نبحث فيه . هل تتكرمين بالانضمام الينا ، وتسمحين لنا بالانتفاع بحكمتك وخبرتك ؟

مسز چورچ : هل تريد حامل الصولجان هو الآخر ؟ انه رجل متزوج .

(يلتفتون جميعا ، بطريقة لا ارادية ، الى حامل الصولجان ، الذى يتلقى نظراتهم بثبات ومهابة)

الأسقف : نحن نرى أن عدد الرجال هنا أكثر من أن يكون فيه انصاف للنساء .

مسز چورچ : أنت على حق يا سيدى **(تعود الى باب البرج وتتحدث الى حامل الصولجان)** اذهب بهذه الشخشيخة يا چوزيف . انتظرنى فى أى مكان تراه مريحا بالقرب من هنا **(ينسحب حامل الصولجان . ترى كولنز لأول مرة)**

هالو . بل . لقد ارتديت زيك الرسمى انت الآخر . اذهب واشتر كأسا لچوزيف . مع السلامة **(يخرج كولنز . تنظر الى قلنسوة سومز ومسحه)** ماذا ! زى رسمى آخر ! هل أنت خادم الكنيسة ؟ **(يقف)**

الأسقف : راعى الكنيسة ، الأب آنتونى .

مسز چورچ : **(تلاطف سومز)** أرجو ألا تغضب .

سومز : أنا لا أبالى الا بواجباتى .

الأسقف : أظن أنك عرفت الجميع الآن .

مسز چورچ : **(تنتقل الى الكرسى ذى القضبان)** من هذا ؟

الأسقف : أوه ، أرجو المعذرة يا سسيل ، مستر سايكس . العريس .

مسز چورچ : **(مخاطبة سايكس)** ازينت للتضحية ، هه ؟

سايكس : من المشكوك فيه الآن أن تكون هناك أية تضحية .

مسز چورچ : أريد أن أتحدث مع النساء أولا . هل نصعد الى أعلى لنلقى نظرة على الهدايا والملابس ؟

مسز بردچنورث : ان شئت ، بكل تأكيد .

رچنالد : ولكن الرجال يريدون أن يسمعوا ماستقولينه .

مسز چورچ : سأتحدث اليهم فيما بعد ، واحداً واحدا .

هوتشكس : **(مخاطبا نفسه)** يا رب !

مسز بردچنورث : من هنا يا مسز كولنز **(تتقدمهن الى الخارج من باب البرج ، تتبعها مسز چورچ ولزبيا وليو وايدث)**

الأسقف : هل نحاول بحث ما بقى من خطابات يا سومز أثناء غيابهن ؟

سومز : نعم . **(يخاطب هوتشكس الذى يقف فى طريقه)** تسمح ؟

(يدخل الأسقف وسومز الى المكتب بعد أن يضطرا هوتشكس الى التحرك من مكانه ، وهو الذى كان غارقا فى غيبوبة فكرية نسى فيها أين هو . واذ يوقظه سومز ، يحملق فى شرود . وفجأة تنتابه موجة من التصميم فيسرع نحو منتصف المطبخ)

هوتشكس : سسيل . رچى **(يسارعان اليه بعد أن أذهلهما تصرفه ولهجته)** أنا آسف جدا للهروب اليوم . ولكن لابد لى من الهروب . والسبب فى هذه المرة هو الجبن لا أكثر ولا أقل . لا حيلة لى فى الأمر .

رچنالد : مم تخاف ؟

هوتشكس : لا أدرى . استمعا الى . كنت شابا أحمق أعيش بمفردى فى لندن . وقد طلبت أول طن من الفحم من زوج هذه المرأة . لم أكن أدرى فى ذلك الحين أنه ليس من الاقتصاد فى شىء أن يشترى المرء أرخص الأصناف . كنت أظن أن أنواع الفحم جميعا سيان ، فاشتريت من النوع الذى سعره ١٣ شلنا لأنه كان رخيصا . ثم اتضح ، على غير ماكنت أتوقع ، أنه أردأ الأنواع . وفى سورة غضبى ذهبت

الى الدكان حيث ظهرت بمظهر الأبله كما وصفتنى .

سايكس : وماذا فى هذا ؟ اضحك يا رجل .

هوتشكس : أضحك على هذا ، نعم . ولكن هناك ما هو أسوأ . لك أن تتصور بشاعة حالى عندما أذهب الى تاجر الفحم لأقدم له شكوى تافهة من مدفأتى التى استحالت الى بطارية من المدافع السريعة الطلقات فأواجه بزوجته الوقحة ، وأشعر بانفعال غير عادى لوجودها ، شعور بعدم الاستقرار ، شعور برغبة لاتنطفىء . لن أثير اشمئزازكم بذكر تفاصيل ما تلا ذلك اللقاء من جنون وحماقة . ولكننى سأذكر لكم الى أى مدى وصلت بى الحال . لقد وجدت نفسى أحوم حول الدكان ليلا تحفزنى ضرورة يائسة الى أن أكون بالقرب من أى مكان كانت فيه . وقد أيقنت بمبلغ جنونى عندما أحسست باغراء بشع يدفعنى الى تقبيل عتبة الباب لأن قدمها مرت فوقها . واستطعت أن أنتزع نفسى من لندن بعد جهد جهيد . ولكننى كنت على وشك العودة منجذبا اليها كما تنجذب الابرة الى المغناطيس ، عند ما أنقذنى نشوب الحرب . وفى ساحة القتال ذهبت عنى الفتنة . وأصبحت رجلا جديدا بعد حادث «بلليتر» . أحسست أننى خلفت ورائى الى الأبد حماقات الأيام الأولى

وتصرفاتها الصبيانية . ولكن قبل نصف ساعة ... عند ما بعث الأسقف بخاتمه .. احسست فجأة بيد تعصر قلبى عصرا فامتلأت نفسى بشعور من الرعب والفزع لا أستطيع أن أسميه ... أنا ... أنا الذى لا اخشى شيئا ! ولقد تبينت السبب عند ما رايتها تدخل هذه الغرفة . سسيل : هذه المرأة عقاب ، جنية ، حورية ، مصاصة دماء . ليست أمامى الا فرصة واحدة : الفرار ، الفرار السريع فى هذه اللحظة . اعتذر بالنيابة عنى . انسنى . الوداع **(يهم بالتوجه الى الباب فيواجه بمسز چورچ داخلة)** فات الوقت . ضعت **(يعود ويلقى بنفسه فى يأس فى أقرب كرسى من باب المكتبة ، وهو أبعد الكراسى عنها)**

مسز چورچ : **(تسير نحو المدفأة وتخاطب رچنالد)** مستر بردچنورث : هل تتكرم بأن تتركنى مع هذا الشاب ؟ أريد أن أتحدث اليه كأم ، فى مشكلتكم .

رچنالد : نعم يا سيدتى . انه فى أشد الحاجة الى ذلك . هيا بنا يا سايكس **(يذهب الى المكتب)**

سايكس : **(ينظر الى هوتشكس نظرة تردد)** ..

هوتشكس : فات الوقت . لا تستطيع أن تنقذنى الآن يا سسيل . اذهب . **(يذهب سايكس الى**

المكتب . تتهادى مسز چورچ متجهة الى هوتشكس وتمعن النظر فيه بفضول)

هوتشكس : لا فائدة من اطالة هذه المحنة (**يقف**) امرأة مميتة ... لو كنت امرأة حقا ولست شيطانا فى شكل امرأة ....

مسز چورچ : هل قرأت هذا فى كتاب ؟ أم هذا هو الحديث الذى تتبادلونه فى المجتمعات ؟

هوتشكس : (**فى تهور**) لا داعى للتهكم . ان القوة التى تكتسحنى لن تبقى عليك . لابد أن أعرف أسوأ الأنباء الآن . ماذا كان أبوك ؟

مسز چورچ : كان صاحب مطعم وتزوج الفتاة التى كانت تدير البار فى مطعمه .

هوتشكس : اذن فأنت امرأة أدنأ منى من جميع النواحى . هل تنكرين ذلك ؟ هل لديك أية مزاعم عن كونك نداً لى فى المقام أو السن أو الثقافة ؟

مسز چورچ : هل أكلت شيئا لا يتفق ومعدتك ؟

هوتشكس : (**متخاذلا**) منحطة !

مسز چورچ : شكرا . هل من شئ آخر ؟

هوتشكس : نعم . أحبك . ونواياى ليست شريفة (**لا تبدى أى استنكار**) اصرخى . دقى الجرس . اجعليهم يطردونى من البيت .

مسز چورچ : (**يعتريها فجأة شعور صادق عميق**) لو استطعت أن تعيد الى هذا القلب الضائع المنهك شعاعا واحدا من العاطفة التى انبعثت مرة عند النظرة ... عند لمسة حبيب ! اذن

لصرخت أنت أيها الشاب . هل ترى هذا الوجه ، الذى كان يوما غضا فى لون الورد كوجهك ، والذى شوهته الآن وغضنته مئات النيران التى انطفأت ؟

هوتشكس : (فى عنف) نار اردواز ، ١٣ شلن للطن . نار تقذف بشهب مدمرة ، تعمى وتحرق ، وتجعل الرجال يخرجون الى الشوارع ليسخر الناس منهم .

مسز چورچ : يبدو أن ما حدث ترك فى نفسك آثارا قوية جدا يا سنچون .

هوتشكس : لا تجرئى على مناداتى بسنچون .

مسز چورچ : اسمى زنوبيا ألكساندرينا . تستطيع أن تنادينى پوللى على سبيل الاختصار .

هوتشكس : اسمك عشتروت ، ديرجا(١) ، لم يخترع بعد اسم يناسبك فى الأذى والسوء .

مسز چورچ : **(تجلس مستريحة)** هل تظن حقيقة أنك أليق بهذه الفتاة السليطة اللسان من زوجها ؟ أنت تستمتع بصحبتها عندما تكون صديق الأسرة فحسب ، عندما يكون هناك زوج تتباهى أمامه ويتحمل هو كل المسئولية . هل أنت متأكد أنك ستستمتع بصحبتها هذا الاستمتاع نفسه عندما تكون أنت الزوج ؟ انها

---

(١) عشتروت هى معبودة الفينيقيين كانوا يقدمون لها الذبائح البشرية . ولها آثار رائعة فى دير القلعة بلبنان .
وديرجا احدى آلهة الهند .
(المحرر)

ليست ذكية كما تعلم . انما هي ذكية في غباء .

هوتشكس : **(يتكىء على المائدة فى اضطراب ويتمسك بها ليسيطر على حركاته العصبية)** وهل انت فى حاجة الى تذكيرى بهذا ؟ يا شيطانة .

مسز چورچ : كنت تسلى الزوج ، أليس كذلك ؟

هوتشكس : روح الفكاهة لديه أكثر مما لديها. هو أحسن منها أصلا ونشأة . ليست تلك غلطتى .

مسز چورچ : زوجى حسن النكتة هو الآخر .

هوتشكس : تاجر الفحم ؟ .. أعنى تاجر الاردواز ؟

مسز چورچ : **(فى شغف)** كم يحب أن يسمعك تتكلم ! لم يكن فى حالته الطبيعية أخيرا لحاجته الى صحاب جدد وتسلية جديدة .

هوتشكس : **(يطوح بأحد الكراسى أمامها ويجلس متماديا فى محاولته لأن يكون وقحا)** وبالله عليك ما الذى يحبب زوجك البائس فى ؟

مسز چورچ : هل تحبنى ؟

هوتشكس : أمقتك .

مسز چورچ : نفس الشىء .

هوتشكس : اذن فقد ضعت .

مسز چورچ : تستطيع أن تأتى لزيارتى اذا وعدت أن تدخل السرور الى نفس چورچ .

هوتشكس : سأهينه ، سأسخر منه ، سأمسح حذائى فيه .

مسز چورچ : لن تفعل شيئا من ذلك يا ولدى العزيز . ستتصرف تماما كچنتلمان .

هوتشكس : (**مهزوما . يسالها الرحمة**) زنوبيا ....

مسز چورچ : من فضلك ، پوللى .

هوتشكس : مسز كولنز ...

مسز چورچ : نعم يا سيدى ؟

هوتشكس : شيء أقوى من عقلى وحواسى يغل يدى ويمزقنى اربا . أنا لا أحاول أن أنكر أن هذا الشيء يستطيع أن يجرنى حيث تشائين ، وأن يجعلنى أفعل ما تريدين . ولكن دعينى على الأقل أعرف خبيئة نفسك كما تعرفين خبيئة نفسى . هل تحبين تاجر الفحم السخيف هذا ؟

مسز چورچ : سمه چورچ .

هوتشكس : هل تحبين چورچى يورچى ؟

مسز چورچ : لست أعلم أننى أحبه . انه زوجى كما تعرف . ولكن اذا أنا قلقت على صحة چورچ ، قليتك بالبصل وقدمتك له فى طعام الافطار دون أن أبالى ، اذا كان فى ذلك تغذية له . چورچ وأنا صديقان حميمان . چورچ رجلى . قد يجيء رجال آخرون ويذهبون ، أما چورچ فباق الى الأبد .

هوتشكس : نعم . سرعان ما يغدو الزوج مجرد عادة . اسمعى . أظن أن هذه الفتنة الكريهة التى لك على هى الحب .

مسز چورچ : أى شعور ازاء المرأة يسمى حبا فى هذه الأيام .

هوتشكس : هل تحبيننى ؟

مسز چورچ : **(بسرعة) ليس حبى سلعة رخيصة كهذا يا عزيزى . أنا لا أجشم نفسى عناء عبور الطريق لألقى عليك نظرة أخرى ، ليس بعد .** لست متعطشة الى الحب عطش العصفور اليه فى برد الشتاء ، كما هو شأن السيدات اللواتى اعتدت مخالطتهن . لابد أن تكون بارعا جدا، وطيبا جدا ، ومخلصا جدا ، لكى تثير اهتمامى . فاذا أعجب بك چورچ ، واذا أنت أدخلت السرور على نفسه ، تحملت مجيئك وذهابك من وقت لآخر لمدة ... فلنقل لمدة شهر . فاذا استطعت أن تكسب صداقتى فى هذه المدة كان بها . ان استطعت أن تصل الى قلبى المسكين المحتضر ، ولو حتى للحظة واحدة ، باركتك ، وما نسيتك أبدا . حاول ..... هذا اذا أعجب بك چورچ .

هوتشكس : أستطيع اذن أن أزوركم فى منزلكم لمدة شهر اذا كان چورچ يحبنى ؟

مسز چورچ : بشرط أن تتخلى عن مسز رچنالد .

هوتشكس : ولكنها لن تتخلى عنى . هل تظنين أننى أريد الزواج منها ؟ لقد كنت أعزب لا بيت لى ، وكنت أشعر بالسعادة والغبطة فى بيتهما كصديق لهما . وكانت ليو شيطانة صغيرة مسلية . ولكننى أحببت رچنالد أكثر مما أحببتها . الا أنها لم تدرك ذلك . فجاءت الى

يوما وأخبرتنى ان ما لا مفر منه قد وقع . وكنت من اللباقة بحيث لم أسـألها عن هذا الذى لا مفر منـه . وأدركت على الفور انها قالت لرچنالد ان زواجهما كان غلطة ، وانها أحبتنى ولم تعد تطيق أن ترانى وقلبى يتمزق من أجلها ويتـألم فى صـمت . ماذا كان فى استطاعتى أن أقول ؟ ماذا كان فى استطاعتى أن أفعل ؟ ماذا أستطيع أن أقول الآن ؟ ماذا أستطيع أن أفعل الآن ؟

مسز چورچ : قل لها ان الوقوع فى غرام زوجات الآخرين أصبح عادة عندك ، وانني آخر غرام لك .

هوتشكس : ماذا ! أتخلى عنها بعد أن تخلت هى عن رچنالد من أجلى .

مسز چورچ : **(تقف)** لن تفعل اذن ؟ طيب . أنا آسـفة لأننا لن نلتقى ثانية . كنت أحب أن أراك من أجل خاطر چورچ . الى اللقاء **(تبتعـد عنه ناحية المدفأة)**

هوتشكس : **(بتضرع)** زنوبيا . . .

مسز چورچ : ظننت أننى غزوت حصـنا منيعا . أما الآن فأنا أرى أنك لست الا واحدا من تلك المخلوقات البائسة التى تطارد أية امرأة وتسـتطيع أية امرأة أن تلتقطك . هذا ليس لى . أشكرك **(تستدير ناحيـة البرج لتخرج فى عنـاد وصـلابة)**

هوتشكس : **(يتبعها)** لا تكونى حمارة يا بوللى .

مسز چورچ : (تقف) هذا أحسن .

هوتشكس : الا تستطيعين أن تفهمى اننى لا استطيع ان أتخلى عن ليو لمجرد ان ذلك يسرنى . هذا أمر غير شريف .

مسز چورچ : هل ستكون سعيد اذا تزوجتها ؟

هوتشكس : أوه لا . أبداً .

مسز چورچ : هل ستكون سعيدة عندما تعرفك على حقيقتك ؟

هوتشكس : انها لا تستطيع أن تكون سعيدة ، ولكنها تستطيع أن تتمسك برجل ضد رغبته .

مسز چورچ : تماماً أيها الشاب . اذن فستقول لها ، من فضلك ، انك تحبنى ، أمام الجميع ، فى أول مرة تراها .

هوتشكس : ولكن ......

مسز چورچ : هذه أوامرى ياسنچون . لا أستطيع أن أجعلك تتزوج امرأة أخرى الا بعد أن يسأمك چورچ .

هوتشكس : آه لو لم أكن أرغب رغبة أنانية فى اطاعتك !

(يدخل الچنرال من الحديقة . تخطو مسز چورچ حتى تصبح فى منتصف المسافة من باب الحديقة لتتحدث اليه . هوتشكس يقف جامداً عند المدفأة)

مسز چورچ : أين كنت طول هذا الوقت ؟

الچنرال : كانت أعصابى مضطربة من المناقشة ، فذهبت الى الحديقة لأدخن . أنا بخير الآن **(تتهادى**

ناحية باب المكتب وتجلس عند ذلك الطرف من المائدة الكبيرة)

مسز چورچ : كنت تدخن ! ألم تقل انها لا تطيق التدخين ؟

الچنرال : أى والله ! نسيت . فقد أصبح التدخين أمراً طبيعياً .

(تدخل لزبيا من باب البرج)

مسز چورچ : لقد عاد الى التدخين !

لزبيـــا : هذا ما تقوله لى أنفى **(تتجه الى طرف المائدة القريب من المدفأة وتجلس)**

الچنرال : لزبيـــا : أنا آســف جداً . ولكن لو أبطلت التدخين ، لأصبحت منقبض النفس سريع الغضب ، ولكنت أنت أول من يتوسل الىّ لأعود اليه .

مسز چورچ : هذا صحيح . فالنساء يدفعن أزواجهن الى جميـــع أنواع الخبائث حتى يظلوا فى مرح وابتهاج . سنچون : انصرف . لا شأن لك بهذا .

لزبيـــا : لا تتعب نفسك يا سنچون . لقد ظل قلب بوكسر المحطم معلقا بكمه زمنا طويلا بحيث لم يعد ثمة مجال للتكتم .

الچنرال : أنت قاسـية يا لزبيـــا ، قسوة شـيطانية **(يجلس ، مهيضا)**

لزبيـــا : أنت سافل يا بوكسر .

هوتشكس : لماذا ؟ أنا أسأل بوصفى خبيرا فى السفالة .

لزبيـــا : لسببين : أولا ، لأنه يتكلم كما لو كان الشىء

الوحيد الذى له اية اهمية فى الحياة هو من هى المراة التى سيتزوجها . ثانيا ، لأنه لا سيطرة له على نفسه .

الجنرال : ليس النساء كلهن سواء بالنسبة الى يا لزبيا.

مسز چورچ : وكيف يكن سواء ؟ النساء جميعا مختلفات. الرجال هم الذين كلهم سواء . ثم ما الذى تعرفه مس جرانثام عن الرجال أو النساء ؟ ان لديها كثيرا من ضبط النفس .

لزبيا : **(تتسع عيناها وترفع ذقنها فى ترفع)** وكيف بالله يمنعنى ذلك من أن أعرف عن الرجال والنساء ما يعرفه من ليس لديهم شىء من ضبط النفس ؟

مسز چورچ : لأن ضبط النفس يخيف الناس فيتأدبوا فى وجودك . فكيف تعرفين حقيقتهم اذن ؟ أنظرى الى . كنت طفلة مدللة . نشأ أخواتى واخوتى نشأة طيبة ، شأن جميع أولاد أصحاب الحانات المحترمين . كذلك كان يجب أن أنشأ أنا لو لم أكن الصغرى ، كنت أصغر بعشرة أعوام من أصغر أخواتى . وكان والداى قد سئما عندئذ القيام بواجبهما فى تربية أولادهما . ولذا دللانى أشد التدليل . لم أعرف ابدا معنى الحاجة الى مال ، أو الى أى شىء يشترى بالمال . وعندما كنت أرغب فى الحصول على ما أريد ، كان كل ما أفعله هو أن أظل أصرخ الى أن أحصل عليه . واذا اغتظت لم أضبط نفسى ، وانما أنشبت

مخالبى ورحت أسب وأشتم . هل حاولت أبدا ، بعد أن كبرت ، شد شعر امرأة ؟ هل حاولت أبدا عض رجل ؟ هل حاولت ابدا أن تسبى رجلا أو امرأة بجميع الفاظ السباب التى تأتى على لسانك ؟

لزبيا : (**تقشعر اشمئزازا**) لا .

مسز چورچ : أما أنا فقد فعلت كل هذا . أنا أعرف شعور المرأة عند ما يشد أحد شعرها . وأعرف شعور الرجل عندما تعضه امرأة . وأعرف شعورالمرأة والرجل عندما تخبرينهما بحقيقة شعورك ازاءهما . ولهذا أعرف عن الدنيا أكثر مما تعرفين .

لزبيا : كذلك الصينيون يعرفون شعور الرجل عندما يقطع جسده ألف قطعة ، أو عندما يغلى فى الزيت . هذا النوع من المعرفة لا يفيدنى . أخشى أننا لن ننسجم معا أبدا يا مسز چورچ . أنا أعيش كالمبارز ، دائما على حذر . وأحب أن أواجه أشخاصا يكونون دائما على حذر . فأنا أمقت الناس المائعين ، وذوى الثياب المهلهلة ، والذين لا يستطيعون أن يجلسوا مشدودى القامة ، وذوى العواطف الرقيقة .

مسز چورچ : ولكنك لا تتعلمين كيف تشقين طريقك فى الحياة باتخاذ موقف الحذر ، بل تتعلمين ذلك بالهجوم ، وبنيل نصيبك من الضرب .

لزبيـــا : [أنا لا أقاتل للحصـــول على جائزة يا مسز كولنز . اذا لم أســتطع الحصول على شيء دون مهانة القتال فى سبيله ، استغنيت عنه.]

مسز چورچ : حقا ؟ ألا يخطر ببالك أننــا لو كنا جميعا فى مثل مهارتك فى الاستغناء عن الأشياء ، لمـا كان هناك شيء نعيش من أجله ؟

الچنرال : ولكن الأشـياء التى تستغنين عنها يا لزبيـا هى الأشياء التى لا تحتاجين اليها .

لزبيـــا : **(مندهشة لحضور بديهته)** لا بأس بهذا من جنــدى غبى . نعم يا بوكسر : الحق هو أن رغبتى فيــك ليست من القوة بحيث أقدم على التضــحيات غير المعقولة التى يتطلبهـا الزواج. ومع ذلك فهذا هو بالضبط السبب الذى يجب من أجله أن أتزوج . وســأدفن فى قبرى دون أن أنجب ، لا لشيء الا لأننى أتحلى بالصفات التى يحتاج وطنى اليها أكثر من غيرها . أما النساء اللواتى ليست لديهن القوة لمقاومة الزواج ، ولا المقدرة على ادراك ما ينطوى عليــه من عار لا حــد له ، هؤلاء النساء هن اللواتى سيبنين وطن المســتقبل **(تنهض ، وتسير ناحية المكتب)**

الچنرال : **(وهى على وشك أن تتجاوزه)** لن اســألك أن تتزوجينى ثانية يا لزبيا .

لزبيـــا : أشكرك يا بوكسر **(تستمر فى سـيرها نحو باب المكتب)**

مسز چورچ : لقد نفضت يديك منه تماما ، هه ؟

لزبيا : فيما يتعلق بالزواج ، نعم . خلا لك الجو الآن يا مسز چورچ . **(تذهب الى المكتب)**

(يدفن الچنرال وجهه فى يديه . تدور مسز چورچ حول المائدة آتية اليه)

مسز چورچ : **(بعطف)** هى امرأة لطيفة . وذات جمال من نوع خاص ، يختلف عن جمال اية امرأة أخرى .

الچنرال : **(مغلوبا على أمره)** أوه مسز كولنز ، أشكرك، أشكرك ألف مرة **(ينهض وقد فاضت به عاطفته)** لقد أذبت جليد الينابيع التى طال تجمدها **(يقبل يدها)** سامحينى . وأشكرك . بارك الله فيك **(يهرب مرة أخرى الى الحديقة، يخنقه الانفعال)**

مسز چورچ : **(تنظر وراءه فى زهو وانتصار)** ضبطت المحارب العجوز وهو يترنح ، هه ؟

هوتشكس : لقد نكثت عهدك معى !

مسز چورچ : أنا لست متاعا لك أيها الشاب . لا يخطرن لك هذا ببال **(تتجه اليه وتواجهه)** انت تدرك ذلك ؟ **(يمسك بها فجأة ويضمها بين ذراعيه ويقبلها)** أوه ! اياك أن تجرؤ على ذلك مرة أخرى يا سفيه ! وأنا ألقى بأحد هذه الكراسى فى وجهك **(تمسك بأحد الكراسى على أهبة الاستعداد)** لن ترانى بعد هذا لمدة شهر آخر .

هوتشكس : **(بتبرم)** ستكون زيارتى الأولى لزوجك بعد ظهر اليوم .

مسز چورچ : ستعلم ماذا سيقول لك عندما انبئه بما فعلت الآن .

هوتشكس : وماذا يستطيع أن يقول ؟ ماذا يجرؤ ان يقول ؟

مسز چورچ : لنفرض أنه طردك من البيت ؟

هوتشكس : وكيف يستطيع ذلك ؟ لقد اشتركت فى سبع مبارزات بالسيف . وعضلاتى من حديد . لا شيء يؤذينى . ولا حتى العظام المكسورة . لا يهمنى القتال بتاتا ، لأنه لا يخيفنى ولا يسلينى ، وأنا الفائز فيه دائما . ولعل زوجك فى مثل هذه الأمور ، رجل عادى . وسيرتعد منى فرقا . واذا أقدم على مهاجمتى مدفوعا بحافز وجودك ، ومن أجل خاطرك ، ولأن ذلك هو مايراه السفلة صوابا ، فاننى سأهزمه بكل بساطة وأجعل منه أضحوكة **(يضع يديه على الكرسى شيئا فشيئا ثم يأخذه منها ، بينما تستقر كلماته فى أعماقها كلمة كلمة)** ولكنك ستفضلين على تعريضه لكل هذا ، أن تتحملى الف قبلة مختلسة ، اليس كذلك ؟

مسز چورچ : **(فى فزع شديد)** أيها الثعبان الصغير !

هوتشكس : ها ها ها ! أنت فى قبضة يدى . فاتتك نقطة لم ترد فى قانون الشرف الذى وضعته للأزواج ، وهى أن الرجل الذى يستطيع أن

يستبد بهم ، يستطيع أن يهين زوجاتهم دون أن يمسه سوء . أنبئيه انجرؤت . اذاأردت أن أقبلك عشر قبل فكيف تمنعينني ؟

مسز چورچ : تعال الى متنـاول يدى ، وأنا لن أترك على رأسك شعرة واحدة .

هوتشكس : **(يمسك رسغيها ببراعة)** لقد قيدت يديك.

مسز چورچ : ولكنك لم تقيد أسنانى . دعنى، والا عضضتك .. سأعضك . دعنى .

هوتشكس : عضى . سيكون مذاقى حلوا كمذاق چورچ .

مسز چورچ : يا وحش . دعنى . هـل تسـمى نفسـك چنتلمان ، وأنت تسـتخدم قوتك الوحشية ضد امرأة ؟

هوتشكس : أنت أقوى منى فى كل شىء الا هـذا . فهل تظنين أننى سأتخلى عن ميزتى الوحيـدة ؟ عدينى أن تكونى فى استقبالى عند ما أزوركم بعد ظهر اليوم ؟

مسز چورچ : بعد كل ما فعلت ؟ لن أعد ، حتى ولو كان فى ذلك انقاذ حياتى .

هوتشكس : سأسلى چورچ .

مسز چورچ : لن يكون فى البيت .

هوتشكس : **(مأخوذا)** هل تعنين أننا سنكون وحدنا ؟

مسز چورچ : **(تنتزع يديها منتصرةعليه اذ يخفف قبضته)** آها ! لقد أذهلك هذا النبأ .

هوتشكس : **(بلهفة)** متى يكون چورچ فى البيت ؟

مسز چورچ : لن يهمك اذا كان فى البيت أم لا ، فسيغلق الباب فى وجهك فى أى وقت تأتى فيه للزيارة .

هوتشكس : لا يوجد فى لندن خادم من القوة بحيث يستطيع أن يغلق بابا أريده أنا أن يظل مفتوحا . لا تستطيعين أن تهربى منى . واذا أصررت على موقفك ، مارست تجارة الفحم ، وبذلك أتعرف بچورچ فى بورصة الفحم ، وأظل ألاطفه وأتملقه حتى يأخذنى معه الى بيته ليعرفنى بك .

مسز چورچ : لا فائدة لك عندنا أيها الشاب : لا چورچ ولا أنا **(تبتعد عنه وتجلس عند طرف المائدة القريب من باب المكتب)**

هوتشكس : **(يتبعها ويجلس على الكرسى المجاور عند ركن المائدة)** بل لى فائدة عندكما . چورچ لا يستطيع أن يقاتل من أجلك ، أنا أستطيع .

مسز چورچ : **(مستديرة لتواجهه)** أنت مستبد . أنت مستبد وضيع .

هوتشكس : أنت لديك شجاعة وفتنة ، وأنا لدى شجاعة وقبضتان . كلانا مستبد يا پوللى .

مسز چورچ : لك لسان شرير ، وهذا يكفى ليبعدك عن بيتى .

هوتشكس : اذن فهو بيت على وشك الانهيار . كلمة منى الى چورچ ـ الكلمة المناسبة تقال بالطريقة المناسبة ـ واذا ببيتك يهوى .

مسز چورچ : ولهذا سأموت قبل أن أدخلك اليه .

هوتشكس : كونى اذن على يقين ، يقينك بأنك حية ترزقين ، من اننى سأمارس تجارة الفحم غدا . ان ذوق چورچ فى اختيار الصحاب الذين يسلونه سيسلمه الى . وقبل انقضاء شهر سيكون بيتك تحت رحمتى .

مسز چورچ : **(تنهض ، وهى فى مأزق)** هل تظن اننى اترك نفسى لأنساق الى فخ كهذا ؟

هوتشكس : أنت فى الفخ فعلا . الزواج فخ . وأنت متزوجة . أى رجل لديه القوة على افساد زواجك ، تكون لديه القوة لافساد حياتك . ولدى هذه القوة عليك .

مسز چورچ : **(يائسة)** هل تعنى ذلك ؟

هوتشكس : أعنى ذلك .

مسز چورچ : **(فى تصميم)** أفسد زواجى اذن وعليك ..

هوتشكس : **(يقفز من مكانه)** پوللى !

مسز چورچ : أواجه التعاسة خير من أن أكون أمة لك .

هوتشكس : حتى فى سبيل چورچ ؟

مسز چورچ : **لابد ان تكون بينى وبين چورچ رابطة شرف، سواء أكنت سعيدة ، أم لا . افعل أسوأ ما تستطيع .**

هوتشكس : **(معجبا بها)** هل تجرؤين على أن تتحدينى يا پوللى ؟

مسز چورچ : اذا سألتنى سؤالا آخر ، فلن أستطيع أن أبعد يدى عنك ؟ **(تندفع شاردة اللب أمامه**

نحو الطرف الآخر للمائدة ، وأصابعها تلتوى وتنبسط)

هوتشكس : هذا ينهى الموضوع . پوللى : أنا أعبدك ، لقد خلق كلانا للآخر . وما دمت أنا چنتلمان ، فلن آتى أمرا يغضبك أو يؤذيك ، الا أننى أحتفظ بحقى فى أن أضربك اذا عضضتنى . ولكنك لن تتخلصى منى أبدا بعد الآن ، الى آخر يوم فى حياتك .

مسز چورچ : سأتخلص منك حتى ولو اضطر حامل الصولجان الى القضاء عليك بصولجانه (**تتجه نحو باب البرج**)

هوتشكس : (**يجرى بين المائدة والصندوق متجها الى باب البرج ليقطع عليها الطريق**) لن تستطيعى هذا .

مسز چورچ : (**تلهث**) لن أستطيع ؟

هوتشكس : لا . لن تستطيعى . ما زالت معى ورقة أخيرة لم ألعبها بعد ، وأنت نسيتها . لماذا لم تكونى فى حالتك الطبيعية عندما كنت تتحدثين الى الأسقف ؟

مسز چورچ : (وقد استثارها هذا الى أبعد حد) كف عن هذا . لا تتحدث عن ذلك . ستحترم هذا ان كنت لا تحترم شيئا آخر . أنا أمنعك

(**يركع عند قدميها**) ماذا تفعل ؟ انهض : لا تكن أحمق .

هوتشكس : پوللى : أسألك ــ وأنا راكع ــ أن تعرفينى بچورچ فى بيته بعد ظهر اليوم ، وسأظل راكعا

الى أن يأتى الأسقف فيرانا . ماذا سيكون ظنه فيك عندئذ ؟

مسز چورچ : **(تنظر جانبا)** أين السيخ الحديدى الذى نقلب به فحم المدفأة ؟

(تندفع نحو المدفأة ، وتأخذ السيخ ، وتندفع نحو هوتشكس الذى يفر الى باب المكتبة . الأسقف يدخل فى هذه اللحظة ويرى نفسه بينهما ، وقد كاد السيخ يهوى على رأسه)

الأسقف : لا تضربيه يا مسز كولنز . انه ضيفى .

(تلقى مسز چورچ بالسيخ ، وتنهار فى أقرب كرسى ، وتنفجر بالبكاء . يتجه الأسقف اليها ويربت على كتفها مواسيا . يهتز جسمها كله ارتعاشا من لمسته)

الأسقف : أنت فى بيت أصدقائك . هل نستطيع أن نساعدك ؟

مسز چورچ : **(تخاطب هوتشكس ، مشيرة الى المكتب)** أدخل هناك ، أنت . لا نريدك هنا .

هوتشكس : أنت تدرك أيها الأسقف أن مسز كولنز لا لوم عليها بسبب هذا المنظر . لقد أثرت غضبها .

الأسقف : أصدق هذا يا سنچون ؟

(يدخل هوتشكس الى المكتبة)

الأسقف : **(يلتفت الى مسز چورچ فى حنان بالغ)** أنا آسف لما حدث لك من مضايقة **(يجلس الى يسارها)** لا تبالى به . قليلا من الجرأة ،

قليـلا من مرح القلب ، قليـلا من الصلاة ، تسخرى منه وتهزئى به .

مسز چورچ : لاتخش شيئا . لدى هذا كله . كانت غلطتى بقدر ما كانت غلطته . لقد كنت على وشك أن أضعه فى مكانه بضربة من هذا السيخ على جانب رأسه لولا أنك دخلت .

الأسقف : ربما كنت وضـعته فى كفنه بهـذه الطريقة يا مسز كولنز . وعندئذ كنت أشـعر بأشد الأسف ، لأننا جميعا نحب سنچون .

مسز چورچ : نعم ، من واجبك أن تؤنبنى . ولكن هل تظن أننى لا أعرف ؟

الأسقف : أنا لا أؤنبك . من أنا حتى أؤنبك ؟ ثم اننى أعرف أن هناك مناقشـات يكون فيهـا هذا السيخ هو السبيل الممكن الوحيد للجدال .

مسز چورچ : يا سيدى : كن جاداً معى . أنا امرأة غريبة الأطوار . ولكننى خرجت من نفس المصنع الذى خرجت أنت منه . لقد سمعتك تقول ذلك قبل سنوات .

الأسقف : هـذا صـحيح . واذن فأنا أسـقف غريب الأطوار . ومادمنا نحن الاثنين غريبى الأطوار، فلنذكر أن الدعابة فضيلة قدسية .

مسز چورچ : أنا لا أعرف شيئا عن الفضائل القدسية ، ولك أن تسميها ما شئت . ولـكننى أعرف متى أشعر بالحظ من قدرى . منك انت تعلمت لأول مرة أن أحتـرم نفسى . عن طريقـك

استطعت أن أسير فى أمان فى طرق موحشة شاقة . فلا تنكص عن تعاليمك .

الأسقف : لست معلما . ما أنا الا رفيق سفر سألته أنت أن يهديك السبيل . ولقد أشرت الى الأمام ، أمامى وأمامك على السواء .

مسز چورچ : (**تنهض واقفة أمامه فى شبه تهديد**) أنا اليوم امرأة حية ، ولكن لو تبين لى أنك مخادع ، فلأقتلن نفسى .

الأسقف : ماذا ! تقتلين نفسك لأنك تبينت شيئا ! لأنك غدوت أعقل وأحكم ، ومن ثم أصبحت امرأة أفضل ! يا له من سبب سيىء !

مسز چورچ : لقد فكرت حينا فى قتلك ثم قتل نفسى .

الأسقف : ولماذا بالله تقتلين نفسك ، دعك منى ؟

مسز چورچ : حتى نفى بموعدنا للقاء فى السماء .

الأسقف : (**ينهض ويواجهها ، لاهث الأنفاس**) مسز كولنز ! أنت المرأة المجهولة !

مسز چورچ : لقد قرأت رسائلى اذن ؟ (**تجلس وهى ترسل تنهدة شكر وتقول**) أشكرك .

الأسقف : (**يشعر بتأنيب الضمير**) وأنا كشفت عن السر وضيعت ما فيه من سحر بجعلك تأتين الى هنا (**يجلس ثانية**) هل لك أن تسامحينى ؟

مسز چورچ : ما كنت لتعرف أنها لم تكن سوى زوجة تاجر الفحم .

الأسقف : لماذا تقولين لم تكن سوى زوجة تاجر الفحم؟

مسز چورچ : سيضحك كثير من الناس على هذا .

الأسقف : مساكين ! من الصعب معرفة الوقت المناسب للضحك ، أليس كذلك ؟

مسز چورچ : لم أقصد أن أجعلك تظن أن الرسائل كانت من سيدة رفيعة . كنت أكتبها على ورق رخيص . ولم أكن أعرف الهجاء أبداً .

الأسقف : ولا أنا . وهكذا لم يدلنى ذلك على شىء .

مسز چورچ : هناك أمر واحد أحب أن تعرفه .

الأسقف : نعم ؟

مسز چورچ : لم نغشّ صديقك . كان الفحم الذى اشتراه ، هو أحسن ما يمكن أن نقدمه له بسعر ١٣ شلناً للطن .

الأسقف : هذا مهم . أشكرك لأنك قلت لى هذا .

مسز چورچ : لدىّ شىء آخر أريد أن أقوله لك . ولكن أرجوك أن تطلب من أحد أن يدخل ويبقى هنا ونحن نتحدث (**يقف ويتجه نحو باب المكتب**) أرجو ألا تكون امرأة (**يومىء برأسه علامة الفهم ويمضى**) ولا رجلا .

الأسقف : (**يقف**) لا رجلا ولا امرأة . لم يبق لدينا أطفال يا مسز كولنز . كلهم كبروا وتزوجوا .

مسز چورچ : هذا القسيس الآخر .

الأسقف : من ؟ خادم الكنيسة ؟

مسز چورچ : نعم . أرجو ألا يكون قد استاء عندما قلت لك هذا ؟ كان ذلك عن جهل منى .

الأسقف : أبداً . أبداً (**يفتح باب المكتب وينادى**) سومز . آنتونى (**مخاطباً مسز چورچ**)

قولى له يا أبى فهو يحب ذلك **(يظهر سومز عند باب المكتب)** مسز كولنز ترغب فى ان تنضم الينا .

(يبدو سومز فى حيرة)

مسز چورچ : لامانع لديك يادادى ، أليس كذلك ؟ **(تصيبه هذه التحية بصدمة مما يتنافى ونصيحة الأسقف لها فتقول فى قلق)** هكذا طلبت منى أن أناديه ، أليس كذلك ؟

سومز : انهم ينادوننى بالأب آنتونى يا مسز كولنز . ولكن لاأهمية لما تنادينني به **(يدخل ويسير متجاوزا اياها نحو المدفأة)**

الأسقف : تريد مسز كولنز أن تقول لى شيئا ، وتريد منك أن تسمعه .

سومز : أنا مصغ .

الأسقف : **(يعود الى كرسيه بجوارها)** والآن ؟

مسز چورچ : سيدى : ما كان ينبغى لك أن تتزوج أبدا .

سومز : هذه المرأة ملهمة . أصغ اليها يا سيدى .

الأسقف : **(وقد أذهله هذا الهجوم المباشر)** لقد تزوجت لأننى كنت أحب آليس أشد الحب حتى ان ما فى الزواج من مصاعب وشكوك وأخطار بدت لى كلها كضوء القمر .

مسز چورچ : نعم . من الدناءة الزج بالشبان الصغار فى متاعب كهذه وهم فى هذه الحال . هل تتزوج الآن وقد ازددت معرفة ، لو كنت أرمل ؟

الأسقف : انا الآن عجوز . هذا لا يهم .

مسز چورچ : ولكن هل تتزوج لو كان هذا يهم ؟

الأسقف : أظن أننى أتزوج من جديد لكيلا يتصور احد أننى لم أجد سعادة فى الزواج من آليس .

سومز : **(بشدة)** هل أنت أكثر حبا لزوجتك منك لخلاصك ؟

الأسقف : أوه ، أكثر كثيرا ، عندما تلقى رجلا يحرص على خلاصه ، فابحث عن امرأة تحرص على أخلاقها ، وزوجهما ، يكن منهما زوجان كاملان . أنا أنصحك بأن تحب يا آنتونى .

سومز : **(فى رعب)** أنا !!!

الأسقف : نعم أنت ! فكر فيما سيفعله الحب فيك . من أجلها ستهتم بالمال فى ايثار ومثابرة بدلا من عدم اكتراثك به فى أثرة وكسل . من أجلها ستهتم ، بالطريقة نفسها ، بتفضيل أشياء على أخرى . من أجلها ستهتم بصحتك ، ومظهرك ، وحسن رأى الناس فيك ، وبكل الأمور ذات الأهمية الحقة التى تجعل الرجال يعملون ويكافحون ، بدلا من الذهول والحلم بخلاصهم .

سومز : باختصار [من أجل خطيئة واحدة مميتة ، سأهتم بجميع الخطايا الأخر]

الأسقف : القديس آنتونى ! اغويه يا مسز كولنز . اغويه .

مسز چورچ : **(تقف وتنظر أمامها نظرات غريبة)** حاذر

يا سيدى ، ما زالت لديك القوة لتجعلنى أذعن واطيع اوامرك . وانت أيها القسيس ، احذر قلبا خليا .

الأسقف : نعم . أن الطبيعة تمقت الفراغ يا آنتونى . أنا لا أجرؤ على أن أعيش بقلب فارغ ، لأن أول فتاة ألقاها ستطير الى هذا القلب بفعل الضغط الجوى . ولكن آليس تبعد عنى الفتيات الآن . مستر كولنز يعرف هذا .

مسز چورچ : **(تغمرها الرجفة كالموجة)** أنا أعرف أكثر من كليكما . أحدكما لم يستنفد بعد حبه الأول ، والآخر لم يصل اليه بعد . أما أنا . . أنا . . . **(تصاب بدوار وترتجف مرة أخرى)**

الأسقف : **(ينقذها من السقوط)** ماذا بك ؟ هل أنت مريضة يا مسز كولنز ؟ **(يعيدها الى كرسيها)** سومز : توجد كوب ماء فى المكتب . . . بسرعة **(يسرع سومز الى باب المكتب)**

مسز چورچ : لا **(سومز يقف)** لا تناد . لا تأت بأحد . ألا تستطيع أن تسمع شيئا ؟

الأسقف : لا شىء غير عادى **(يجلس بالقرب منها ، يراقبها فى دهشة بالفة واهتمام)**

مسز چورچ : ألا تسمع موسيقا ؟

سومز : لا **(يتسلل الى طرف المائدة ويجلس الى يمينها فى اهتمام)**

مسز چورچ : ألا ترى شيئا . . . ضوءا عظيما ؟

الأسقف : ما زلنا نمشى فى الظلام .

مسز چورچ : ضع يدك على جبهتى ، اليد التى فيها الخاتم **(يستجيب . تغلق عينيها)**

سومز : **(يوحى اليه الموقف بنبوءة)** يحكى ان امرأة ما ، زوجة تاجر فحم ، كانت مذنبة كبيرة . .

(يذهل الأسقف فيسحب يده . تفتح مسز چورچ عينيها فى حيوية بينما تقاطع سومز)

مسز چورچ : أنت تتنبأ خطئاً يا آنتونى . لم أقدم فى حياتى أبدا على فعل شىء لم يكن مقدورا لى **(فى لهجة أهدأ)** كنت أتصرف كما تريد نفسى . لم أكن أخشى نفسى . وأخيرا هربت من نفسى ، وغدوت صوت هؤلاء الذين يخشون أن يتكلموا ، وصيحة القلوب التى تتحطم فى صمت .

سومز : **(هامسا)** هل يوحى اليها ؟

الأسقف : رائعة . هس .

مسز چورچ : اكتسبت حق الكلام . جرؤت . نجوت . لم أهو ذابلة فى النار . وفى النهاية خرجت ناجحة موفقة .

الأسقف : وماذا ترين هناك ؟

سومز : **(فى لهفة)** أعطينا رسالتك .

مسز چورچ : **(فى لوم حزين للغاية)** عندما أحببتمونى ، أعطيتكم الشمس والنجوم بأسرها لتلهوا بها . أعطيتكم الخلود فى لحظة واحدة ، قوة الجبال فى قبضة واحدة من أذرعكم ، ومثقال

البحار كلها فى نبضة واحدة من أرواحكم .
لحظة واحدة فحسب . ولكن ألم تكن كافية ؟
ألم تنالوا عندئذ ثمن كل ما بقى من صراعكم
على الأرض ؟ ألا بد لى من رتق ملابسكم
وكنس أرضكم كذلك ؟ ألم يكن فى ذلك الكفاية ؟
لقد دفعت الثمن بدون مساومة ، حملت
الأطفال بدون تردد ، فهل كان ذلك مدعاة
الى القاء مزيد من الأعباء على كاهلى ؟ حملت
الطفل فى ذراعى ، ألا بد لى من حمل الوالد
كذلك ؟ عند ما فتحت أبواب النعيم ، هل
كنتم عميا ؟ ألم يكن ذلك شيئا تأبهون به ؟
عند ما ترنمت كل النجوم فى آذانكم ، وقذفت
بكم كل الرياح الى قلب السماء ، هل كنتم
صما ؟ هل كنتم بكما ؟ ألم أكن أنا لكم سوى
عظمة لكلب ؟ ألم يكن فى ذلك الكفاية ؟ ذقنا
الخلد سويا ، ومع ذلك تطالبوننى بمزيد من
الحياة . ملكنا الكون كله معا ، وأنتم تطالبوننى
بأن أعطيكم أجرى الهزيل كذلك . أعطيتكم
أعظم الأشياء طرا ، وأنتم تطالبوننى بأن
أعطيكم أتفه الأشياء . أعطيتكم أرواحكم
ذاتها ، وأنتم تطالبوننى بجسدى ليكون
ألعوبة . ألم يكن فى ذلك الكفاية ؟ ألم يكن فى
ذلك الكفاية ؟

سومز : هل تفهم هذا يا سيدى الأسقف ؟

الأسقف : لى هذه الميزة دونك يا آنتونى ، والفضل

لأليس . **(ياخذ يد مسز چورچ)** يدك باردة جدا . هل تستطيعين أن تنزلى الى الأرض ؟ هل تذكرين من أنا ومن أنت ؟

مسز چورچ : كان فى ذلك الكفاية لى . لم أطلب أن أراك . . . أن ألمسك . . . **(يترك الأسقف يدها بسرعة)** عندما خاطبت روحى منذ سنوات من فوق المنبر ، فتحت لى أبواب خلاصى . والآن تظل هذه الأبواب مفتوحة الى الأبد . كان فى ذلك الكفاية . لم أطلب منك أى شىء آخر منذئذ . وأنا لا أطلب منك شيئا الآن . لقد عشت . هذا يكفى . نلت أجرى . وأنا مستعدة لعملى . أنا أشكرك وأباركك وأتركك . وأنت بذلك أسعد حالا منى . لأننى اذ افعل للرجال ما فعلته أنت لى ، لا أنال جزاء ولا شكورا ولا بركة . أنا فريستهم ، فلا راحة من حبهم ولا رحمة من مقتهم .

الأسقف : يجب أن تقبلينا على علاتنا يا مسز كولنز .

سومز : لا . اقبلينا كما فى استطاعتنا أن نصير .

مسز چورچ : اقبلونى كما أنا . لا أطلب اكثر من هذا **(تدير رأسها ناحية باب المكتب وتصيح)** نعم . ادخل . ادخل .

(يدخل هوتشكس فى خفة من باب المكتب)

هوتشكس : هل تتكرمان فتخبرانى هل أنا فى حلم ؟ هناك سمعت مسز كولنز تقول أغرب الأشياء دون أن أسمع كلمة واحدة منكما ؟

سومز : سيدى الأسقف : هل هذه وسوسة الشيطان؟

الأسقف : أم طهارة قديس ؟

هوتشكس : أم تنبؤات عرافة ؟

الأسقف : الا يمكن أن يكون الثلاثة معا ؟

مسز چورچ : **(فى ضيق)** أنتم تؤلموننى وتتعبوننى بأسئلة تافهة . أنتم تعيدوننى الى نفسى . أنتم تعذبوننى بأحلامكم الشريرة عن القديسين والشياطين و . . . ماذا قلتم ؟ . . . **(تحاول العثور على الكلمة)** العرافة . . . العرافة **(فى يأس)** لا أفهم . أنا امرأة . مخلوقة بشرية مثلكم . الا تقبلوننى كما أنا ؟

سومز : نعم . ولكن هل نأخذك ونحرقك ؟

الأسقف : أم نأخذك ونعلنك قديسة ؟

هوتشكس : **(مرحا)** أم نأخذك قضية مسلمة ؟ **(مخاطبا الأسقف بسرعة)** لابد أن نخرجها من هذه الحالة ، هذه مسألة خطرة **(يخاطبها بصوت عال)** هل لى أن أقترح أن تكونى شيطانة آنتونى ، وقديسة الأسقف ، ومعبودتى پوللى ؟

(يتسلل واقفا خلفها ، ويأخذ يدها من حجرها ويقبلها من فوق كتفها)

مسز چورچ : **(تصحو)** ما هذا ؟ من الذى قبل يدى ؟ **(تخاطب الأسقف بشغف)** أهو أنت ؟ **(يهز رأسه نفيا . فتقول فى كدر)** أرجو عفوك .

الأسقف : أبدا . هذا شرف لا أتبرأ منه . اسمحى لى **(يقبل يدها)**

مسز چورچ : أشكرك على هذا . لم يكن خادم الكنيسة ، أم كان هو ؟

سومز : أنا ؟

هوتشكس : بل أنا يا پوللى ، المخلص لك الى الأبد .

مسز چورچ : **(تلتفت فتراه)** آه لو ضبطتك تفعل ذلك مرة أخرى ! كيف جئت الى هنا ؟ لقد طردتك **(فى نشاط جم ، وقد عادت الى صوابها مرة أخرى)** بالله عليكم ما الذى كان يجرى هنا ؟

هوتشكس : كل ما أستطيع أن أستنتجه هو أنك كنت فى غيبوبة لطيفة فصيحة .

مسز چورچ : **(مغتبطة)** ماذا ؟ بصيرتى الثانية ! **(تخاطب الأسقف)** لطالما دعوت أن تعترينى هذه الغيبوبة اذا قابلتك ! والآن تحقق الدعاء. هذا أمر مذهل . تستطيع أن تصدق كل كلمة قلتها . لا أذكر الآن شيئا مما قلت ، ولكنه كان شيئا يريد أن ينفجر كلاما يقال . وهكذا تملكنى هذا الشىء وعبر عن نفسه . هذا كل ما فى الأمر .

(تدخل ايدث وسسيل سايكس من باب البرج . ترتدى قبعتها . يبدو واضحا أنهما كانا معا . سايكس فى حالة غير طبيعية ، فى شىء من الحماقة والاستهتار كما لو كان قد فقد كل احترامه لنفسه ، وصمم على ألا

يكون لاحترامه لنفسه اى أثر عليه ، يرتمى على كرسى عند طرف المائدة بالقرب من المدفاة ويضع يديه فى جيبه دون أن ينتظر حتى تجلس ايدث . تجلس هى على الكرسى ذى القضبان . تجلس ليو على الكرسى القريب من باب البرج عند جانب المائدة الطويل ، متجهمة وشفتاها مطبقتان)

الأسقف : هل كنت فى الخارج يا عزيزتى ؟

ايدث : نعم .

الأسقف : مع سسيل ؟

ايدث : نعم .

الأسقف : هل تفاهمتما ؟

(لا جواب . صمت)

سايكس : الأفضل أن تخبريهم يا ايدث .

ايدث : أخبرهم انت .

(يدخل الجنرال آتيا من الحديقة)

الجنرال : **(يتقدم نحو المائدة)** هل يتكرم احد باعطائى بعض التبغ ؟ لقد استهلكت ما كان معى . وما زالت اعصابى أبعد ما تكون عن الهدوء .

الأسقف : انتظر لحظة يا بوكسر . سسيل سيقول لنا شيئا هاما .

سايكس : لقد انتهينا . هذا كل ما فى الأمر .

هوتشكس : انتهيتما من ماذا يا سسيل ؟

سايكس : ماذا تظن ؟

ايدث : لقد تزوجنا بالطبع .

الجنرال : تزوجتما ! ومن الذى سلمك اليه ؟

سايكس : **(يومىء برأسه ناحية باب البرج)** هذا السيد **(يرى أنهما لم يفهما ، فيستدير ببصره ولا يرى أحدا هنالك)** أوه . كنت اظن انه جاء معنا . يبدو انه نزل تحت . حامل الصولجان .

الجنرال : حامل الصولجان . بحق الشيطان لماذا يفعل هو ذلك ؟

سايكس : أوه ، لا أدرى . أنا لم أساومه **(يخاطب مسز چورچ)** ترى كم أعطيه يا مسز كولنز ؟

مسز چورچ : خمسة شلنات **(تخاطب الأسقف)** اريد ان أستريح لحظة ، هناك ، فى مكتبك . لقد رايت هذا هنا **(تمس جبهتها)** .

الأسقف : **(يفتح لها باب المكتب)** بالطبع . اطردى أخى ان أزعجك . سومز ، ايت بالخطابات هنا .

سايكس : الن يغضب اذا أعطيته خمسة شلنات ؟

مسز چورچ : لا . ليس هو . انه يلمس الأطفال بصولجانه ليشفيهم من الالتهابات الجلدية فى مقابل اربعة بنسات عن كل طفل **(تدخل الى المكتب يتبعها سومز)**

الجنرال : لقد خيبت املى يا ايدث . ومع ذلك فأنا مسرور لأن الذى قام بتسليمك رجل يرتدى بدلة رسمية .

(تدخل مسز بردچنورث ولزبيا من باب البرج . تتجه مسز بردچنورث نحو الأسقف

.. يذهب اليها فيتقابلان بالقرب من «البوريه» . تقف لزبيا بين سايكس وايدث)

الأسقف : آليس يا حبيبتى ، لقد تزوجا .

مسز بردچنورث : (فى رصانة) اوه ، لا بأس . فلتخبر كولنز اذن .

(يعود سومز من المكتب ومعه أدوات الكتابة . يجلس عند أقرب طرف للمائدة ويمضى فى عمله . يجلس هوتشكس على الكرسى المجاور عند ركن المائدة مديرا له ظهره)

لزبيا : هل سلم كل منكما للآخر ؟

ايدث : أبدا . لقد احتطنا لكل شىء .

سومز : كيف ؟

ايدث : قبل ذهابنا الى الكنيسة ، ذهبنا الى شركة تأمين ... ما اسمها يا سيل ؟

سايكس : شركة تأمين العائلة البريطانية . وهى تقوم بالتأمين ضد العلاقات السيئة وغير ذلك من الطوارىء .

ايدث : وافقت الشركة على تأمين سيل ضد اجراءات القذف التى تتخذ ضده بسببى . وستقدم لنا شروطا سهلة بصفة خاصة لأننى ابنة أسقف .

سايكس : وقد أقسمت لايدث اننى اذا ارتكبت جريمة فسأضربها وأطرحها أرضا أمام أحد الشهود

ثم اسافر الى « برايتون » مع سيدة اخرى (١) .

لزبيا : هذا هو ما تسميه الاحتياط لكل شيء !
(تذهب الى منتصف المائدة . ناحية الحديقة وتجلس)

ليو : دعيه يتأكد اولا أنه لا توجد ديدان قبل ان يطرحك أرضا يا ايدث . أين رجى ؟

رجنالد : (داخلا من المكتب) هنا . ماذا حدث ؟

ليو : **(تقفز منتفضة وتتجه نحوه)** ماذا حدث ؟ يا له من سؤال ! بينما كانت ادى وسسيل فى شركة التأمين ركبت تاكسى وذهبت الى غرفتك ، فاذا بها فى آخر حالات الفوضى . ملابسك فى حالة مزرية . وضمادة كبدك استحالت الى بطانة لابريق الشاى . أنت لم تعد تصلح لأن تترك وحدك ، كطفل فى السنة الأولى من عمره .

رجنالد : لا أستطيع أن أجشم نفسى عناء الالتفات الى مثل هذه الأمور . أنا بخير .

ليو : لست بخير . أنت رجل مشين . انت لاتفكر أبدا فى أنك تجلب لى العار . لا تفكر الا فى نفسك . لابد أن تأتى معى الى البيت حتى أعتنى بك العناية الواجبة . لن يسمح لى ضميرى أن أدعك تعيش عيشة الخنازير

---

(١) القصد من ذلك أن يكون هذا سببا للحصول على الطلاق (المترجم)

(**تسوى له رباط الرقبة**) يجب ان تبقى معى الى ان اتزوج سنچون ، وعندئذ نستطيع ان نتبناك أو نفعل شيئا من هذا القبيل .

رچنالد : (**يتخلص منهـا ويندفع نحو المـدفاة مارا بهوتشكس**) كلا . سأنتحر قبل أن يتبنانى سنچون . تبنيه هو ان شئت .

هوتشكس : (**يقف**) أنا أرى أن هذه هى أحسن فكرة يا ليـو . سأعترف لك بشىء . لست أنا بالرجل الذى تظنين . انت تعترضـين على رچى لأن ذوقه منحط .

رچنالد : (**يلتفت نحوه**) هكذا ؟

ليـو : بل قلت ان له عادات بذيئة . لم يخطر ببالى أبدا أن ذوقه منحط الا بعـد أن رايت تلك المراة فى المحكمة . كيف استطاع أن يلتقط مخلوقة كهذه ويجعلها تكتب اليه بعد أن ..

رچنالد : هل هذا عدل ؟ أنا ما فعلت أبدا ...

هوتشكس : بالطبع لم تفعل يا رچى . لا تكن غبيا . ليو ، انه أنا فى الحقيقة ذو الذوق المنحط .

ليـو : انت !

هوتشكس : لقد وقعت فى حب زوجـة تاجر فحم . أنا أعبدها . افضل رباط حذائها على خصـلة من شعرك (**يطوى ذراعيـه ويقف راسـخا كالصخرة**)

رچنالد : أيها الوغد اللعين، كيف تجرؤ على نبذ زوجتى هكذا فى وجهى ؟ (**يبدو على وشـك الهجوم**

على هوتشكس فتفصل بينهما ليو وتسحب رچنالد بعيدا ناحية باب المكتب)

ليـو : لا تعره اى انتباه يا رچى . اذهب حالا والغ هذا الحكم الكريه أو افسخه او اى شيء . قل لسير جوريل بارنز اننى غيرت رايى **(تخاطب هوتشـكس)** كان ينبغى أن أدرك انك اذكى من ان تكون چنتلمان **(تأخذ رچنـالد بعيدا الى البوريه حيث تجلسه . رچنالد يضحك . يعود هوتشكس الى كرسيه متجهما)**

الأسقف : يبدو أن جميع المشاكل تحل نفسها بنفسها .

لزبيـا : فيما عدا مشكلتى .

الچنرال : ولكنك ترين ما حدث هنا اليوم يا عزيزتى لزبيا **(يقترب قليلا ويحنى وجهه تجاهها)** والآن أوجه اليك سؤالا : الا يريك هذا حماقة عدم الزواج ؟

لزبيـا : لا **(تقف)** لقد عدت الى التدخين .

الچنرال : انت تدفعيننى الى ذلك يالزبيا . لا أستطيع أن أقاوم .

لزبيـا : **(تقف خلف الكرسى الذى كانت تجلس عليه ويداها على ظهره وتبدو رائعة)** لن اوبخك اليوم . فأنا أشعر الآن بالمرح والبهجة .

الچنرال : هل استطيع ان أسأل عن السبب يالزبيا ؟

لزبيـا **(تجذب نفساً عميقاً)** بعد كل الأخطار التى تعرضت لها هذا الصباح ، ما زلت كما انا لم أتزوج ! ما زلت مسـتقلة ! ما زلت سيدة

نفسى ! ما زلت عانساً عجوزاً رائعة صلبة الراى انتمى الى انجلترا العجوز !

(يقفز ســومز صامتا ويخطو خطـوة واسعة حيث يجلس عند المائدة ليسلم عليها عبر المائدة)

الچنرال : هل تجدين اية ســعادة حقة فى أن تــكونى سيدة نفسك ؟ ألا يكون أكرم ... ألا تكونين أسعد ، كسيدة (١) شخص آخر ...

لزبيــا : بوكسر !

الچنرال : **(يقف مرتاعا)** لا لا يا عزيزتى لزبيا . لابد أن تعلمى أننى لم أكن أستعمل الكلمة بمعناها المستهجن . أنا سيىء الحظ أحيانا فى اختيارى للألفاظ . ولكنك تعرفين ما أعنى . أنا متأكد أنك ستكونين أسعد كزوجتى .

لزبيــا : أعتقد ذلك ، ولكن بطريقة شـائكة معقدة . وأنا أفضل كرامتى واستقلالى. هذا التحرق الى السعادة يبدو لى وقحا .

الچنرال : اذن فلن أسألك مرة أخرى يا لزبيا **(يجلس غاضبا)**

لزبيــا : بل ستسألنى يا بوكسر . ولكن دون جدوى **(تجلس هى الأخرى وتضـع يدها على يده فى شىء من المحبة)** ارجو أن اتمكن يوما ما

---

(١) الكلمة الانجليزية هنا هى Mistress وهى ذات معنيين ، سـيدة ، اى مؤنث Master بمعنى السيادة ، ومعناها الاخر عشيقة .

من ان اجعل منك صديقا . وعندئذ سنكون على خير وئام .

الچنرال : **(يقفز ثانية)** ها ! اعتقد انك جامدة يا لزبيا. سأجعل من نفسى أضحوكة ان بقيت هنا . آليس : سأذهب الى الحديقة لحظة .

كولنز : **(يبدو عند البرج)** كل شىء تمام الآن يا سيدتى .

الچنرال : **(يتجه اليه)** على فكرة . هل تتكرم بـ . . . **(يهمس اليه ببقية الجملة فلا تسمع)**

كولنز : بالتأكيد يا چنرال **(يخرج كيس تبغ ويعطيه للچنرال ، فيأخذه ويذهب الى الحديقة)**

لزبيا : [لا أعتقد أن فى انجلترا رجلا يحب زوجته باخلاص كما يحب غليونه]

الأسقف : على فكرة ، ماذا حدث لحفلة الزفاف ؟

سايكس : لا أدرى . لم يكن فى الكنيسة أحد عند ما تزوجنا سوى أحد الخدم ونائب القسيس الذى أدى المهمة .

ايدث : كانوا قد انصرفوا جميعا .

مسز بردچنورث : ووصيفات الشرف ؟

كولنز : استأجرت أنا وحامل الصولجان سيارتى تاكسى يا سيدتى ، وجبنا أنحاء البلدة فجمعناهن كلهن . شعرن جميعا بخيبة الأمل بسبب ملابسهن ، ورأين فى ذلك شذوذا ، ولكنهن وافقن على حضور طعام الفطور . والحق أنهن جميعا يقتلهن الفضول

ليعرفن كيف حدث كل هذا . وقد ظل عازف الأرغن يعزف حتى كاد الأرغن ان يفسد ، وحتى أصبح هو فى حالة اسوأ من الأرغن . وقد طلب منى بنوع خاص أن أبلغك يا سيدى اللورد أنه أخر عزف مقطوعة مندلسون الى آخر لحظة . ولكن عندما انتهى من عزفها رأى أن يذهب . فعزف السلام الملكى وبارح الكنيسة. وسيأتى الى الفطور[1] ليشرح كل شيء .

ليو : أرجوك أن تتذكر يا كولنز أنه لا صحة اطلاقا للشائعة التى تقول اننى انفصلت عن زوجى ، أو أنه يوجد ، أو كان يوجد أى شيء بينى وبين مستر هوتشكس .

كولنز : بارك الله فيك يا سيدتى . هذا واضح جدا (**يخاطب مسز بردچنورث**) هل تستقبلين المدعوين هنا أم فى البهو يا سيدتى ؟

مسز بردچنورث : بل فى البهو . ألفرد : اذهب انت وبوكسر الى البهو واستعدا لشغل أول القادمين بالتحدث معهم الى أن نحضر . لا بد أن نساعد ايدث على ارتداء ملابسها . هيا يا لزبيا . تعالى يا كليو . لا بد أن نساعد جميعا . هيا يا ايدث (**لزبيا وليو وايدث**

---

(١) جرت العادة فى انجلترا ان تقام مادبة بعد عقد الزواج تسمى بالفطور لانها اول طعام ياكله العروسان معا بعد زواجهما . (المحرر)

يخرجن من البرج) كولنز : سنحتاج اليك عندما تنتهى مس ايدث من ارتداء ملابسها لكى تلقى نظرة على نقابها وغير ذلك ، لنرى ان كل شيء على ما يرام .

كولنز : نعم يا سيدتى . أما من شيء عن مس لزبيا يا سيدتى ؟

مسز بردچنورث : لا . انها لن تتزوج الچنرال ، أظن تلك مسالة منتهية .

كولنز : خسارة ! سيدة رائعة تضيع هكذا ياسيدتى **(يهزان رأسيهما فى أسى . تخرج مسز بردچنورث من باب البرج)**

الأسقف : أنا ذاهب الى البهو يا كولنز لأكون فى استقبال المدعوين . رچى : اذهب واخبر بوكسر ، ثم ائتيا معا لتساعدانى فى التحدث مع المدعوين . هيا يا سسيل **(يخرج من باب البرج ، يتبعه سايكس)**

رچنالد : **(يخاطب هوتشكس)** لطالما تشدقت بانك تتصرف كچنتلمان . فاذا كنت تحسب انك تصرفت مع ليو كچنتلمان فانت مخطىء ، وسأكون أنا فى صفها ، فاذكر هذا .

هوتشكس : فاهم . لقد أغلق بابكم فى وجهى .

رچنالد : **(بسرعة)** أوه لا . لا تتسرع ، اظن اننى أود أن تأتى لزيارتنا بعد فترة من الزمن . فانها تغضب وتستاء اذا لم يكن بالبيت أحد يبعث فيه الحياة قليلا .

هوتشكس : سأبذل ما فى وسعى .

رچنالد : **(فى ارتياح)** لا مانع لديك ، هه ؟

هوتشكس : انه القــدر . لقد أمسكت يداى بالفحم . ويداى سوداوان ، ولــكنهما نظيفتان . الى اللقاء يا رچى **(يتصافحان . يذهب رچنالد الى الحديقة ليبحث عن بوكسر)**

كولنز : أرجو المعذرة يا سيدى ، هل تبقى لتتنــاول الفطور ؟ اسمك فى القائمة ، وأحب أن أغيره اذا كنت لن تبقى .

هوتشكس : أنّى لى أن أعلم ؟ هل مصــيرى فى يدى بعد اليــوم ؟ اذهب : ســلها هى التى يجب أن تطاع .

كولنز : **(مرتاعا)** هل أعجبت بك مســـز چــورچ يا سيدى ؟

هوتشكس : ليتهــا فعلت ! الأمر أسوأ من هذا يا رجل ، أسوأ بكثير . لقد أعجبت أنا بمسز چورچ .

كولنز : لا تيأس يا ســيدى ، اذا ارتاح چورچ الى حديثك ، وجدت بيتهما لطيفا للغاية ، أكثر حيوية من بيت مستر رچنالد .

هوتشكس : **(ينادى)** پوللى .

كولنز : **(على الفور)** أوه ، ما دام الأمر قد وصــل الى حد مناداتها بپوللى يا سيدى ، فلا بد أنك على ما يرام .

(تظهر مسز چورچ فى باب المكتب)

هوتشكس : يريد أخــو زوجك أن يعــرف ما اذا كنت

سأبقى لتناول الفطور أم لا . أجيبيه .

مسز چورچ : سيبقى يا بل ، ان هو أحسن سلوكه .

هوتشكس : **(مخاطبا كولنز)** هل تسمح لى ، كصديق للأسرة ، أن أناديك بل ؟

كولنز : بكل سرور يا سيدى .

هوتشكس : فى أسرتى ينادوننى باسم صنى .

مسز چورچ : لماذا لم تخبرنى بذلك من قبل ؟ صنى هو الاسم الذى أردته لك . **(تربت خده فى مودة ، فيقف فجأة ويتجه نحو المدفأة حيث يرتمى فى الكرسى ذى القضبان متجهما)** بل : لن أذهب الى البهو الا بعد أن يأتى عدد كاف من الناس . أرسل لى حامل الصولجان فى الوقت المناسب .

كولنز : كما تشائين يا سيدتى **(يخرج من باب البرج)**

(مسز چورچ وحدها الآن مع هوتشكس وسومز ، فجأة تضع يديها على كتفى سومز وتنحنى فوقه)

مسز چورچ : طلب منى الأسقف أن أغويك يا آنتونى .

سومز : **(دون أن يلتفت حوله)** ياامرأة : اذهبى عنى .

مسز چورچ : آنتونى : عندما تروى شفاه وقلوب أخرى
حكاية حبها ،

هوتشكس : **(مستهزئا)** فى لغة تشى قوتها
بفرط ما تحس به ،

مسز چورچ : واذا كانت القلوب الجوفاء ترتدى قناعا ،
فان قلبك يتحطم اذ يرى
أن كل ما أطلبه فى لحظة كهذه
هو أن تذكرنى .
وأنت ستفعل يا آنتونى . سأسلط عليك سحرى .

سومز : هل تظنين أن رجلا رتل أنشودة العذراء البتول ، وقدس ملكة السموات ، يعير أذنيه تفاهة كهذه ، أو تستهوى عينيه تفاهة مثلك ، هذا باستثناء وجود روحك الصغيرة المسكينة ؟ اذهبى الى بيتك وواجباتك يا امرأة .

مسز چورچ : (**تجبذ ثباته وجلده**) آنتونى : أنا أتخذك أبا لى .. هكذا يكون الحديث !/ أرنى رجلا لا تتوقف حياته كلها على امرأة حقيرة فى الشارع المجاور ، ولن أدعه يفلت أبدا/
(**تصفعه على ظهره فى سرور**)

سومز : فى هذا الكفاية . أمامك رجل آخر لتحدثيه . أنا مشغول .

مسز چورچ : (**تترك سومز وتتقدم خطوة أو اثنتين بالقرب من هوتشكس**) لماذا لست مثله يا صنى ؟ لماذا تتمسك بامرأة صغيرة فى الشارع المجاور ؟

هوتشكس : (**بتفكير**) يجب ان أعتذر الى بيلليتر .

مسز چورچ : من هو بيلليتر ؟

هوتشكس : رجل يأكل مهلبية الأرز بالملعقة . انا آكل مهلبية الأرز بالملعقة منذ رأيتك اول مرة **(يقف)** كلنا نأكل مهلبيةالأرز بالملعقة ، اليس كذلك يا سومز ؟

سومز : نحن جميعا سواسية . لا حاجة بك الى الرجوع الى . أولا : أنا مشغول . ثانيا : تجد كل شيء فى تعاليم الكنيسة ، وهى تحوى معظم الاكتشافات الحديثة التى يزخر بها عصرنا . سيذهب الى نفس الجنة ان أحسن ، والى نفس النار ان أساء .

مسز چورچ : **(تجلس)** وكذلك زوجى تاجر الفحم .

هوتشكس : اذا كنت أنا أعلى مقاما من زوجك هنا ، فلا بد أن أكون أعلى منه مقاما فى الجنة أو النار . المساواة أعمق جذورا من هذا . فأنا وتاجر الفحم نحب امرأة واحدة . وبالنسبة لى ، يضع هذا حدا للمسألة كلها الى الأبد **(يعبر المطبخ نحو باب الحديقة مستغرقا فى التفكير)**

سومز : هاه !

مسز چورچ : أنت لا تؤمن بالنساء يا آنتونى ، اليس كذلك ؟ أنت لا تبالى اذا قال انه هو وچورچ يحبان السمك المقلى .

هوتشكس : أنا لا أحب السمك المقلى . لا داعى للاسفاف يا پوللى .

سومز : يا امرأة : لاتتجرئى على اتهامى بعدم الايمان .

وأنت يا هوتشكس ، ألا تمقت نفس هذه المرأة لأنها تتحدث عن السمك المقلى ؟ ان بعض ضحايا معجزة قحط السمك كانوا مقليين . وأنا آكل السمك المقلى كل يوم جمعة وأحبه . أنت كالعهد بك قنزوح لاشك فيه.

هوتشكس : **(وقد نفد صبره)** يا عزيزى آنتونى : أراك سخيفا كواعظ ، لأنك تحيلنى دائما الى أماكن ووثائق وحوادث تزعم وقوعها ، وأنا فى الحقيقة لا أومن بشىء منها . أنا لا أومن الا بارادتى وكبريائى وشرفى . ان أسماكك وتعليماتك وكل ماعدا هذا تؤلف قصيدة جميلة تسميها أنت ايمانك . تناسبك تماما ولكنها لا تناسبنى . ذلك لأننى ، كنابليون ، أفضل الاسلام (١) **(تنظر مسز چورچ اليه نظرة ارتياب سريعة لأن الاسلام فى نظرها مقترن بتعدد الزوجات)** أنا أعتقد أن الامبراطورية البريطانية بأسرها ستعتنق نوعا معدلا من الاسلام قبل انتهاء القرن . ان شخصية محمد حبيبة الى نفسى . أنا معجب به ، وأشاطره آراءه فى الحياة الى حد كبير . وفى ذلك هزيمة لك يا سومز . الدين قوة كبرى ، القوة الدافعة الحقة الوحيدة فى العالم . ولكن الأمر

---

(١) الكلمة التى استعملها شو هنا هى *Mohametanism* والمقصود بها الدين الاسلامى ، لأن معظم الغربيين ينسبون الاسلام الى نبيه محمد ، كما ينسبون المسيحية الى المسيح . (المترجم)

الذى تعجزون انتم ايها الناس عن ادراكه ، هو انه ينبغى أن تنالوا مقصدكم من الرجل عن طريق دينه هو لا دينكم أنتم . وبدلا من أن تواجهوا هذه الحقيقة ، تصرون على محاولة ضم الناس جميعا الى طائفتكم الصغيرة ، حتى تستطيعوا أن تستخدموها ضدهم فيما بعد . أنتم جميعا رجال تبشير ، تحاولون اقتلاع دين جاركم واحلال دينكم محله . وانكم لتفضلون أن يهلك الطفل جهلا على أن تلقى العلم من أبناء طائفة منافسة . أنت تحدثنى عن روح المساواة بين تجار الفحم والضباط البريطانيين ، ومع ذلك فانت لا تستطيع أن تدرك روح المساواة بين جميع الأديان . من أنت ، على أية حال ، حتى تكون أكثر علما من محمد أو كونفوشيوس أو غيرهما ممن دابوا على هذا العمل منذ أن وجد الكون؟

مسز چورچ : **(معجبة بفصاحته)** سيحبك چورچ يا صنى . لابد أن تسمعه وهو يتحدث عن الكنيسة .

سومز : اذن فاذهبا الى حتفكما أنتما الاثنين . لا يوجد الا دين واحد لى ، ذلك الذى تعرف نفسى أنه حق . ومع ذلك فحتى من لا يؤمن بالأديان يؤمن بعقيدة واحدة ، الا وهى قدسية الزواج . انتما الاثنان على وشك ارتكاب خطيئة لا تغتفر . هل تنكران هذا ؟

هوتشكس : انت تنسى يا آنتونى ان الزواج نفســه هو الخطيئة التى لا تغتفر فى رايك .

سومز : ليست المســألة الآن ما أومن به انا ، بل ما تؤمنان به أنتما . عاهدنى على ترك هذه المرأة ان كانت لديك القوة والهداية . أما ان كنت ما زلت فى قبضة هذه الدنيا ، فاحترم نظمها على الأقل . هل تؤمن بالزواج أم لا ؟

هوتشكس نفسى متحررة تماما من مثل هذه الخزعبلات . أنا أعلن جادا غير حانث أنه ليس ثمة بين هذه المرأة ـ كما تسميها أنت فى قلة أدب ـ وبينى ما يحول دون احترام ضميرى لها . أنا أمقت بكل غرائزى الزواج وما فيه من قيم أخلاقية عند الطبقات الوسطى . ولو كنت مركيزا يعيش فى القرن الثامن عشر ، لما شعرت بمزيد من الحرية مع زوجة أحد المواطنين فى باريس عما أشعر به مع بوللى . أنا أمقت كل مايمت بصلة الى مسألة الطهر العــائلى هذه وأراها أحط دركات السفالة وأكثرها أنانية وضيق أفق ، أراها شــهوة جســدية ، واختطــافا للزوجة .

مسز چورچ : (تقف مسرعة) هــكذا ! اذن فلن تأتى معى الى البيت أيها الشاب ؟ أنا متأســفة . انه لأمر طريف حقا أن التقى ولو مرة واحدة فى حياتى برجل لم يفزعه خاتم زواجى . ولكننى

ابغى صديقا وليس مركيزا فرنسيا . ولهذا فلن تاتى معى الى البيت .

هوتشكس : (فى عناد) بل سآتى .

مسز چورچ : لا . .

هوتشكس : نعم . فكرى ثانية . أنت تعرفين محيطك جيدا على ما أظن ، المحيط الذى تجولين فيه والذى يضم صغار التجار . أنت تعرفين كل فضائحه ونفاقه وأحقاده وخصوماته ، والمئات من حالات الطلاق التى لا تعرض ابدا على المحاكم ، وكذلك العشرات من تلك الحالات التى تعرض على المحاكم .

مسز چورچ : لسنا ملائكة . أنا أعرف فضائح قليلة . الا ان معظمنا من الغباء بحيث لا يمكن أن نكون الا طيبين .

هوتشكس : اذن لابد أن تكونى قد لاحظت انجميع القتلة يبدون مسيحيين مخلصين اذا حكمنا بأقوالهم المهذبة على المشنقة ، شأنهم فى ذلك شأن الاباحيين جميعا ـ رجالا ونساء ـ الذين هم قوم تفيض نفوسهم بعواطف عائلية رقيقة ويجهرون باحترام تقاليد ينتهكونها فى السر .

مسز چورچ : هل تريد أن يفشوا إسرارهم ؟

هوتشكس : انهم قوم ذوو عاطفة وليسوا ذوى شرف . اما أنا فلست ذا عاطفة ولكننى ذو شرف .

انا اعلم جيدا ماسيحدث لى بمجرد ان اتخطى عتبة بيت زوجك واقاسمه خبزه . عندئذ ، سأحترم رابطة الزواج هذه التى امقتها احتراما لا يصدر ابدا عمن يؤمنون بالزواج ، وعمن يجدون أحسن متعة لهم فى الذهاب الى المسارح حيث يضحكون على الرابطة الزوجية .

سومز : أنت شيوعى ، أليس كذلك ؟

سومز : أنا مسيحى . وهذا يضطرنى الى ان أكون شيوعيا .

هوتشكس : وانت تعتقد أن هنرى الثامن سرق كثيرا من أراضينا وضياعنا من الكنيسة ؟

سومز : ليس مجرد اعتقاد ، فانني أعرف ذلك بوصفى محاميا .

هوتشكس : هل تسرق ثمرة لفت من أحد اصحاب هذه الأرض المسروقة ؟

سومز : (**يتفى الاجابة**) لا حق لهم فى اراضيهم .

هوتشكس : ليس هذا هو سؤالى . هل تسرق ثمرة لفت من أحد هذه الحقول التى لا حق لهم فيها ؟

سومز : انا لا احب اللفت .

هوتشكس : ما دمت محاميا فأجبنى .

سومز : انا اقر بأننى قد لا أفعل هذا . ربما اكون مخطئا ان لم اسرق ثمرة اللفت ، فانا لا استطيع ان ادافع عن احجامى عن سرقتها . ولكن

ينبغى ألا أفعل هذا . أنا أعلم أنه ينبغى ألا أفعل هذا .

هوتشكس : ولا أنا أستطيع أن أسرق زوجة چورچ . لقد مددت يدى من قبل الى هذه الفاكهة المحرمة، وأنا أعرف أن يدى سترتد دائما فارغة . إن عدم الايمان بالزواج أمر هين ، وعشق امرأة متزوجة أمر هين ، أما أن تخون رفيقا ، أن تخون ثقة مضيف ، أن تخون الخبز والملح ، فذلك مستحيل . تستطيعين أن تأخذينى معك الى البيت يا پوللى ، لا تخشى شيئا .

مسز چورچ : ولا رجاء لك فى شىء ؟

هوتشكس : ما دمت قد صغت السؤال بهذا الشكل المتناهى فى الرقة يا پوللى ، فالجواب هو : لا شىء مطلقا .

مسز چورچ : أنت تظن، كما يظن معظم الرجال ، أنك تعرف كل ما تريده المرأة . ولكن الشىء الذى تريده المرأة أكثر من غيره لا علاقة له بالزواج أبدا . لعل آنتونى لديه فكره عنه . هه ، آنتونى ؟

سومز : الزمالة المسيحية ؟

مسز چورچ : أهذه تسميتك له ؟

سومز : ماذا تسمينه أنت ؟

كولنز : **(يظهر فى باب البرج مع حامل الصولجان)** پوللى ، لقد امتلأ البهو ، والناس فى انتظارك .

حامل الصولجان : أفسحوا الطريق من فضلكم ياسادة . أفسحوا الطريق لصاحبة العصمة العمدة . من فضلكم سيداتى وسادتى . اذا سمحتم سيداتى وسادتى : أفسحوا الطريق للعمدة .

(مسز چورچ تأخذ ذراع هوتشكس وتخرج يسبقها حامل الصولجان)

(سومز يستأنف الكتابة فى هدوء)

ستار الختام

مكتبة الفنون الدرامية

تحت الطبع :

الحارس

للكاتب الإنجليزى : هارولد بنتر

ترجمة : عبد الحليم البشلاوى



دار مصر للطباعة
٣٧ شارع كامل صدقى "الفجالة"

الثمن ٣٠ قرشاً